سحابة سمائي
مي رفعت

في عالمٍ يسوده الشر هنالك من ظلم أبرياء لا ذنب لهم، وهنالك أبرياء اختاروا أن يصبحوا وحوش وينتقموا من الحياة لكن كانوا من أنفسهم ينتقمون، وبين هذا وذاك تزهق أرواح في دائرة الانتقام بغير ذنب، ويأتي دور الحب، هل يستطيع الحب أن ينهي العداء؟ أم سينتصر الشر؟

الفصل الأول

كان يوماً رائعاً ونسمات الريح المحملة بالسقيع معلنةً بدأ الشتاء تلفح وجهي بلطف لتنفرج عن شفتاي ابتسامه وأنا مغمضة العينين أستمع لتغريد العصافير وهديل الحمام كاسمي، تنهدت براحةٍ؛ فمنذ وقتٍ طويل لم أنعم بذلك الهدوء وسط صخب المدينه، ولكن سعادتي على وشك الانتهاء وجامعتي شارفت على البدء، هذا هو عامي الأخير بكلية الفنون الجميلة وقد نمت موهبتي جداً بدخولي إياها، منذ كنت بالثانوية وأنا أخلد كل ما يروق لعيني بدفاتري المخصصة للرسم أو بلوحاتي إن كنت بمكانٍ يسمح لي بذلك كمثل هذا المكان، فندقٍ رائع بإطلاله خلّابه؛ فأمامي السماء الصافيه والبحر من تحتها يضفي على روحي نقائه وتلك الرمال الناعمة كلون الذهب ونعومة الحرير، كنت قد رسمت تلك الإطلاله بعد بضع ساعاتٍ من قدومي؛ لشدة إعجابي بإبداع الخالق، وها قد إنتهيت من تلك اللوحه لتبادرني أختي الإعجاب بها بصوت صفيرها الذي صدح بالمكان.

- يا إلهي ما كل هذا الإبداع يا فتاه! لقد تفوقتي على نفسك هذه المره.

- حبيبتي أنا دائماً ما أبدع برسوماتي.

إنفجرت ريما ضحكاً على شكلي المتباهي لأشاركها متناسين نوم أبي ليعتلينا الصمت حين همهم غاضباً لتقول ريما هامسةً أنها ستذهب لمساعدة أمي بإعداد الغداء لأقوم أنا لدورة المياه كي استحم، ما هي إلا دقائق حتى إنتهيت لأرتدي ملابسي، بنطالاً من الچينز كُحلي ويعتليه قميص أسود بنقوش زهريه هادئه، أضع القليل من مساحيق التجميل التي تضفي لجمالي توهجاً محبب، ودّعت أمي وهي تخبرني أن لا أتأخر عن موعد الغداء.

أتمشى على الشاطئ والمياه تداعب أقدامي العارية والرمال المبللة تتخلل من بين أصابعي والهواء العليل يساعد على تطاير خصلات شعري الطويل المطليّ بسواد الليل من خلفي بتموجاته الطبيعية التي أحب، أحرص على أخذ أكبر قدرٍ من الهواء النقيّ إلى داخلي، جلست على الرمال الناعمة أنظر لصفاء السماء ونقيّ المياه وجمال العصافير المحلقة بحريه، ما أجمل الطبيعه والجو الهادئ البعيد كل البعد عن المدينة والناس وصخبهم، أفقت من تأملي على صوت هاتفي بنغمة الرنين التي أعشقها، تلك النغمه الخاصه بحبيب فؤادي و وحيده.

غيث حبيبي لقد إشتقت إليك، كم أتمنى لو أنك استطعت القدوم معنا، الجو - هنا رائعٌ فقط أنتَ من ينقصه.

حبيبتي وأنا أيضاً قد إشتقت لكِ جداً ولكن أنتِ تعلمين لم أستطع ترك -
الشركه؛ فهنالك تسليمٌ كبير اليوم، أخبريني الأن هل قمتي برسم تلك الإطلاله
التي أخبرتيني عنها؟

- أجل لكن لن أريك إياها إلا وقت عودتي كي أرى رأيك وتعابير وجهك.

- دائماً ما كانت لوحاتك بديعه وكل مرةٍ كنتِ تُدهشيني بهم يا هديلي.

- أنا حقاً لازلت إلى الأن لا أصدق أننا قد تمت خطبتنا منذ شهرين! كم أود أن
يصدح صراخي بالعالم أني وأخيراً قد حصلت عليك، أنا حقاً لا تسعني
الفرحه، أود لو أظل أقفز وتتعالا ضحكاتي بالأرجاء.

- ما باللكِ بي! أنا إلى الأن لازلت أشرد باجتماعاتي أنظر للخاتم الذي
باصبعي، أعود لوعي فقط من ضحكات الموظفين برؤيتهم لي أبتسم كالأبله
أمامهم من دون سبب من وجهة نظرهم.

- هل تذكر كيف إلتقينا؟

- وهل هذا شيءٌ قابلٌ للنسيان! كل الفضل لرهف.

(قبل أربع سنوات (هديل.

كنت أسير بمفردي كما هي العاده أطالع من هم حولي، هؤلاء الفتيان المتجهين لمدرستهم، ذلك الرجل الذي يحمل الحقيبة متجهاً لعمله بالطبع، تلك السيدة العائده محملةٌ بالأكياس المنتفخه من أحد الأسواق، جلست أنتظر الحافلة أحمل بين يديّ كتاباً يتحدث عن لغة الجسد؛ فأنا أتطلع لأن أصبح بمثل حرفية متخصصون علم النفس الذين يقرأون الشخص الذي أمامهم كأنهم كتبٌ مفتوحه على مصرعيها، يعلمون نقاط الضعف والقوه، يعلمون من نظراتهم ما يكتمون بداخلهم، كنت مندمجه مع الكتاب حتى أتت الحافله، صعدت لأجلس بأحد المقاعد الخالية مكملةً القراءه لحين وصلت وجهتي.

كنت أطالع المناظر أمامي لتلك الجامعه المهوله التي أبدعوا في تَصميمها، مباني شاهقه، بوابات ضخمه، مساحات واسعةٌ جداً وبعض المناظر الطبيعية من الورود والأشجار، نظرت إلى ساعة يدي لم يتبقى للمحاضرة الأولى سوى بضع دقائق فتحركت نحو القاعة المطلوبه.

كنت أنظر إلى دكتور الماده واحداً تلو الآخر وهم يعدّون منجزاتهم وبعض النصائح المتكررة كوننا الدفعه الجديده بمللٍ شديد لدرجة أنني لم ألاحظ مغادرة آخرهم لأفيق من شرودي بجلوس أحدهم بجواري.

- مرحباً، رأيتك دون صحبةٍ مثلي فقلت أن ألقي السلام، أنا أدعى رهف.

الفصل الثاني

.(هديل)

كنت أطالعها بريبةٍ من عفويتها الواضحه لكن لم تخفى عليّ تلك الهالات السوداء وتلك العيون المنتفخة ولحظات الحزن التي تعتلي ملامحها فجأه وتختفي بذات السرعه! لكنني فضلت عدم السؤال.

- مرحباً بكِ، أنا أدعى هديل.

- اسمكِ جميلٌ وهادئ كطبيعتك، هل أنتِ من المدينه؟

- أبي منها لكن أمي من الريف.

- يا إلهي! إذاً عندكِ لي دعوه قريبه بالريف؛ فأنا أعشق تلك الأجواء الطبيعية الهادئه.

- ذلك سيكون من دواعي سروري.

مرّ اليوم سريعاً ونحن منشغلين بالحديث؛ فقد أخرجتني عفويتها وطيبتها من إنعزالي فلم أشعر بإنقضاء الوقت! إنتقل الحديث ما بين حثها لي لأتحدث عن الريف وما بها من روائع إلى معرفتي بإنحدارها من عائله ثريه بالمدينه

كما كنت قد توقعت من ما ترتديه، وتحدثنا عن أفراد عائلتي كذلك التي كانت على عكسها؛ فأهلي من الطبقة الوسطى، لم ينقطع حديثنا إلا حين صدح هاتفها لتجيب على عجل بابتسامةٍ ولهفه ملحوظين.

- هديل لقد تأخرت على أخي عليّ الذهاب الأن، سأحادثك حينما أعود إلى المنزل.

وقفت أتابع ذهابها بعيني حتى وقعت على أحدهم كان يقف بجوار السيارة السوداء الفاخره، عيناه مغطاه بنظارةٍ سوداء أيضاً لا تظهر ما بهما لكن تلك الشفاه المستقيمه وملامحه الجامده تدل على الغضب وبالتأكيد ذلك هو أخاها، ما أن إقتربت منه حتى نظر نحوي، ظننت لوهلةٍ أني أحترق رغم عدم رؤيتي لعينيه، ثم دلف إلى السيارة من دون كلمه واحده، ودعتني رهف ملوحةً بيدها ولكن ذلك البغيض لم يمنحها الفرصة وهو يتحرك بسيارته!

(هديل).

- أحقاً دعوتني بالبغيض ذلك اليوم؟!

- يالكِ من ثرثارةٍ رهف، لكن كانت لدي أسبابي وقتها لا يمكنك إنكار ذلك.

أحمد الله على لقائي بكِ، لولاكِ ما كنت لأتنعم بتلك المشاعر وبهذا الحب - الذي أنقذني من تلك الفجوه المظلمه التي كانت تدفعني الحياة إليها أكثر فأكثر يوماً بعد يوم بكل ما أوتيت من قوه.

- دعنى ننسى تلك الأيام حبيبي وفقط إعلم أنني أُحبك ولن أتخلى عنك أبداً.

كنا مندمجين بالحديث حتى لاحظت أن الشمس قد غربت فعدت أدراجي نحو الفندق مودعةً إياه لأجد أن المائدة قد جهزت بما لذ وطاب من المأكولات البحرية كعادة أول يومٍ بمعظم الإجازات الصيفيه، إتجهت لدورة المياه لغسل يدي وبدلت ملابسي بأخرى مريحه وذهبت لأشاركهم الطعام.

- سلمت يداكِ أمي، لقد أبدعتي كالعادة أنتِ وريما، لم يعد بمعدتي مكانٌ من لذة الطعام الشهي هذا.

- بإمكانك تعلم طبخ تلك الأكلات الشهية لإعدادها لخطيبك، لكن ماذا أقول لعنادك!

- لا أنا لن أقدر على المشاجرة اليوم إعتقي رقبتي، أرجوكي إصفحي عني بتلك الأيام المعدودة دون مشاجرات ودعينا نستمتع فقط وأعدك حين نعود أن نتشاجر كما تحبين، الأن عن إذنكم جميعاً سوف أذهب لأرتاح.

وبالطبع ما أن ولّيتهم ظهري حتى بدأت أمي بالتذمر، لكنني لن أعكر صفو تلك الإجازة الرائعه في المناوشات، إتجهت لغرفتي وأغلقت الباب من بعدي وألقيت بنفسي فوق الفراش وأمسكت بهاتفي لأحادثه برسائل نصيه؛ فقد أخبرني مسبقاً أنه بإجتماع.

" إشتقت لك "

ما أن بعثت بالرسالة حتى ألقيت الهاتف بملل، لكن ما هي إلا دقائق معدوده حتى سمعت صوت الهاتف معلناً عن وصول رساله.

" !منذ ساعةٍ فقط كنّا نتحدث هل بتلك السرعة إشتقتي لي حقاً؟ "

!أفهم من كلامك أنك لم تفعل! حسناً إستمتع بعملك وأرني مع من ستتحدث "
"

كنت أمازحكِ فقط وأنتِ تظلميني؛ فكيف لم أفتقدكِ وأنا أجّلت الإجتماع حين " راسلتيني؟ "

بقينا نتحدث كعادتنا، أنا أفتعل المشاكل وأدّعي الإستياء وهو يعمل على إرضائي، كم أنا ظالمةٌ أليس كذلك؟ لكن لا تظلموني فأنا سريعة الإرضاء إن كان هو المراضي.

.في صباح اليوم التالي

أفقت من نومي على حديث أهلي الصباحي كالعاده؛ فأين أنا والنوم الهادئ! نظرت لهاتفي كانت الواحدة ظهراً، أجل أنا من هؤلاء الكسالا الساهرين لوقتٍ متأخر والمستيقظين بعد الظهر، وضعت الوسادة فوق رأسي بضجرٍ من أصواتهم المرتفعة لكن ذاك الصوت الذي أميزه من بين جميع الخلائق إخترق أذني! قفزت من على الفراش وإتجهت ناحية الباب لكنني ولحسن حظي نظرت إلى المرآة لأرى حالتي المبعثرة إثر النوم، رتبت ملابسي وجمعت شعري للأعلى وتوجهت إلى الخارج.

- غيث!

- وأخيراً استيقظت الأميرة النائمه! لقد ذبل غيث من إنتظاركِ أختي الكسوله.

- ألم تقل أن لديك عمل ولن تستطيع القدوم؟!

- تولى أحدهم الأمر عني فقلت ما الضرر أن أقوم بمفاجأتك، أشراً فعلت؟!

- بل خيراً فعلت.

الفصل الثالث

.(هديل)

إحساسي الأن لا يمكنني أن أصفه لكم لكن سأحاول، الفرحه، الدهشه، الإشتياق، أجل الإشتياق أعزائي، نعم البارحة فقط وصلنا الفندق لكن أنا منذ إسبوعين لم أرى غيث! ستبدوا تلك المده بسيطه للبعض منكم لكن دعوني أخبركم أمراً، غيث ليس خطيبي أو حبيبي فقط لا بل هو معنى حياتي، هو لي كل شيء، محبتي له تفوق الخيال، حسناً لنعد للواقع سأحدثكم عنه فيما بعد.

- هديل! حبيبتي ما بكِ تصنمتي هكذا؟! أبدي أي ردة فعلٍ أختي فأنتِ والحمقى سواءٌ الأن.

- ماذا! آه أعتذر، أنا فقط .. صُدمت.

- أجل أعلم أن كل من يراني يندهش من جاذبيتي و وسامتي، معكِ حقٌ أن يعجز لسانكِ عن وصف جمالي.

- تواضعك أعماني سيد غيث! حقاً أبهرتني من كثرة التواضع.

- ها قد بدأت مناوشات القط والفأر.

!رهف!! أنتِ أيضاً هنا -

!لا، أنا شبح، ألست أقف أمامكِ يا بلهاء ما هذا السؤال -

ما أن أنهت رهف ردها حتى فرّت هاربةً مني؛ لأني وببساطه تحولت لذلك الثور الهائج وهجمت عليها ولقنتها درساً على نعتي بالبلهاء، لكن لنأتي للحق أنا حقاً بلهاء؛ فمن تفعل تلك الأفعال الغبيه أمام أعين زوجها المستقبليّ! لما نريهم ذاك الثور الهائج؟ علينا ألا نصدمهم بحقيقتنا هكذا.

إن أنتهيتي من شجاركم العنيف بدلي ملابسك لنتناول الإفطار فى الخارج، - إن أذن لي عمي بالطبع.

أرجوك خذها ولا تعيدها وسأدفع لك الثمن -.

!أبي! أتبيعني؟ -

أجل، هيا تجهزي لتذهبي هيا -.

عبست مدعيةً الغضب وفراشات قلبي تحلق من فرط سعادتي بوجود حبيبي وأني سأتناول الإفطار معه بمفردنا، إرتديت فستاناً أسود ضيق من الأعلى واسع من الأسفل يصل لأسفل ركبتاي بقليل مع حذاء مريح بذات اللون وجمعت شعري من الجانبين للوسط تاركةً إياه منسدلاً خلف ظهري يداري تلك الفتحه من هذا الفستان الرقيق مثلي، بالطبع لم أنسى إظهار السلسله

الفضيه الهادئه المنتهية على شكل سحابه صغيره والتي كانت أول هدايا غيث لي.

- لنذهب.

- أوه ما كل هذا الجمال! كيف لثورٍ هائجٍ أن يكون بهذا الجمال؟! أنا حقاً لا أعرف!

- رهف، أغلقي فمكِ وحسابكِ معي لاحقاً فقط إنتظري.

- حبيبتي الجميله لا تعكري صفوكِ بسبب تلك الشمطاء أختي، هي تتآكل غيظاً من جمالكِ فقط، هيا بنا دعيها تشتعل وحدها.

- أدهشني حبك لي حقاً أخي العزيز! أراك بين الحين والآخر تنسى أن لولاي ما رأيت ظافر حبيبتك الجميلة هديل.

(قبل أربع سنوات (غيث.

مر ثلاثة أيام على رؤيتي لتلك الفتاه التي كانت مع رهف حين جئت لأخذها من الجامعه، لازلت أتذكرها وليست لديّ القدرة على إخراجها من عقلي، يال جمال محياها، عيونها البنية القاتمه الحاده، شعرها شديد السواد، بشرتها النقيه

التي يخشى الآخرون لمسها كي لا تتسخ، شفتاها المُمتلئة رغم جفافها، جسدها الممشوق.

- غيث!

- ماذا تريدين رهف؟ ها!

- أنا أقف أمامك منذ دقائق أحدثك وأنتَ لست هنا أين شرد عقلك؟!

- لا دخل لكِ، لا تدخلي أنفكِ الكبير بما لا يعنيكي.

- أنفي الكبير! أنفي ليس كبير بل رأسك الحمقاء، ألم تقل أنك سوف توصلني للجامعة اليوم! هيا لقد تأخرت على هديل.

- أمامكِ ثلاث ثوانٍ لتهربي.

- لن تخيفني بذلك التهديد الواهن.

- ثلاثه، إثنان.

بالطبع قبل أن أكمل كانت فرّت هاربةً مثل الفئران، لكن من هديل التي تحدثت عنها؟ أيعقل أن تكون ذات الفتاه؟ على كل حالٍ إرتديت ثيابي واتجهت نحو سيارتي بالأسفل.

- وأخيراً هطلت سيد غيث! أسرع لقد تأخرت.

- كفي عن الثرثرة وإركبي.

- أنظر، ها هي هديل تتصل لأني تأخرت عليها، " أنا حقاً أعتذر عن تأخري، فقط عشر دقائق وسأكون أمامكِ "

" لا عليكِ رهف، أنا فقط قلقت، أنا في إنتظارك "

- من هذه الهديل التي تتحدثين عنها منذ الصباح؟

- هي صديقتي، تعرفت عليها بأول أيام الجامعه، ألم ترها حين أتيت لأخذي آنذاك؟

- لا لم ألاحظ.

إذاً إسمها هديل، ما بك غيث! لما تشغل هذه الفتاة بالك هكذا؟ أنتَ غيث طارق متبلد المشاعر مع الجميع عدى أهلك الذين نقصهم واحد منذ سنه، والذين تكفلتهم أنتَ من بعد موت أبيك، وأنتَ صاحب أحد أكبر شركات الإستيراد والتصدير لعائلة طارق، أنتَ غيث الذى كرسَّ حياته لأخته الصغيرة وأمه الحزينة على فراق حبيبها وزوجها، أنتَ قد عاهدت نفسك على أن لا تنشغل عنهم وألا يشغل بالك مخلوقٌ سواهم، الحزينةّ الأن بذاك العهد؟!

الفصل الرابع

.(هديل)

إلى أين سنذهب؟ -

.سوف نأكل أولاً ثم نذهب لمكانٍ آخر -

وما هذا المكان الآخر؟ -

.لا دخل لكِ كثيرة الأسئله، إستمتعي دون إستفسارات -

بقيت أناظره واضعةً كفّي على وجنتي ساندةً إياه على قدمي، لقد نمت لحيته قليلاً، لكنه لايزال وسيماً للغايه، رغم غيرتي العمياء عليه إلا أني سأصفه لكم، شعره الناعم الأسود الكثيف دائماً ما فضلته طويل قليلاً؛ فكما قلت لكم هو ناعم الملمس، وحين يناظرني بالطبع سيحني رأسه قليلاً؛ فهو قد رزق طول القامه وأنا القصر من وجهة نظره، أما من وجهة نظري أنا ذات طولٍ طبيعي؛ فأنا طولي مئةٌ وسبعون وهو أطول بإثنا عشر سنتيمتر، وبطبيعة الحال تتدلى منه بعض الخصلات التي تكاد تغطي عيونه التي شاركت زرقة السماء بهما، وآهٍ كم أهوى النظر لتلك الزرقاوتان، أوتعلمون لما أهداني تلك

السلسله على شكل سحابه؟ هو دائماً ما يقول لي أني تلك السحابه الوحيده الموجودة بسماء زرقة عيناه؛ لذلك منذ أن أهداني إياها من عامين ماضيين وأنا دائماً ما أرتديها، بشرته مشابه للون بشرتي؛ فكلانا نملك لون البشرة البيضاء.

- لما أطلت لحيتك؟ وما تلك الهالات تحت عيناك؟ وما به وجهك الحسن مرهقٌ هكذا؟!

- كان العمل كثيراً بالأسبوع المنصرم فلم أنم كثيراً، أحالي يرثى له؟

- أنتَ دائماً ما تكون أوسم من رأت عيني حبيبي.

- كم إشتقت لكلماتك المغازلة تلك يا فتاه، لا تبخلي عليّ اليوم؛ فيكفيني حرماناً منها وجهاً لوجه هكذا أسبوعين.

- علم وينفذ حبيبي الوسيم.

- هيا لقد وصلنا.

- يا إلهي غيث! ما أجمل هذا المكان!

كان مطعماً راقي رغم بساطته، كان يطغي عليه اللونين الأسود والبنيّ بدرجاته، كانت الجدران المطله على الخارج من الزجاج ليتمكن من بالداخل من رؤية البحر الذي عكس صفاء وزرقة السماء به.

.تعالي المنظر من الطابق الثاني أفضل بكثير -

.لقد وقعت بحب هذه الإطلاله -

!وماذا عني -

.حبيبي أنا بالفعل واقعةٌ لك منذ البدايه -

.(قبل أربع سنوات (هديل

كنت أضيّع الوقت بإنتظار رهف الذي طال بقراءة ذات الكتاب الخاص بلغة الجسد، لقد إستفدت منه حقاً فأنا قد تعلمت منه بعض الأشياء كمعرفة إن كان المتحدث كاذبٌ أم صادق من خلال نظراته وحركات يديه، أيضاً تعلمت البعض من قرائة لغة العيون فهي لي الأحب والأكثر غموضاً فأنا دوماً ما قرأت وسمعت أن لغة العيون أصدق من ألف كلمه، قاطع شرودي ملاحظتي ذات السيارة السوداء ورهف القادمة إتجاهي وذاك الغامض الذي نزل يودعها، ليته ينزع تلك النظارات السوداء لأرى ما تخبئه تحتها من غموض، هيئته الرسمية تدل أنه من أصحاب الشركات وهالتهم الجامده، كان طويل القامة مقارنةً برهف، لم تخفي البذلة السوداء التي كان يرتديها عضلات

ذراعيه وعرض كتفيه الذين زادوه وسامةً ورجوله طاغيه تضاهي هالته الجامدة المبهمه، أفقت من تأملي على أنظاره التي إنتقلت ناحيتي وجعلت أنفاسي تأبى الخروج أو الدخول، كم تمنيت أن ينزع نظارته لأرى عيناه وكأنه سمعني ليلبي لي طلبي بنزعها وليته لم يفعل؛ فأنا قد أسرت بهاتين الزرقاوتين، ظل يحدق بي بوجهٍ خالٍ من أي تعبير يذكر للحظات إلى أن ركب سيارته راحلاً آخذاً معه أنفاسي التي كدت لوهلةٍ أن أنسى كيف كنت أحصل عليها!

هديل عزيزتي أنا حقاً أعتذر لجعلكِ تنتظرينني كثيراً هكذا، كله بسبب ذاك المزعج غيث.

من غيث؟ -

أنه أخي الذي غادر الأن. -

إذاً اسمك غيث، كم لاق بك يا ذا الزرقاوتين.

(هديل).

كنّا نسير على شاطئ البحر متماسكي الأيدي بعد أن أنهينا إفطارنا، لم يخلوا حديثنا من بعض المغازلات من كلٍ منّا للآخر، تعبنا من السير لنفترش جالسين أرضاً فوق الرمال ننظر للأفق، وكم كان منظر السحاب القليل الذي يزيد زرقة السماء جمالاً محبباً للنفس رائعاً حقاً، وصوت أمواج البحر ونسمات الهواء العليل وقرب حبيبي وإحتضانهُ لكتفاي ورأسي التي تستقر فوق كتفه أشعروني وكأني بالنعيم، وجّهة أنظاري لزرقاوتيه ليبادلني، آهٍ كم أحبُ هاتين العينين وصاحبهُما.

- كتعرج الأمواج بالبحر تتأرجح روحي بزرقاوتيك.

- يا فتاه أخجلتني! عجز لساني عن الكلام، يال حظي الذي أهداني حبيبةً لها من المواهب ما يبهر العين وما يطرب السمع.

- إشكر الله كثيراً إذاً؛ فأنا لا مثيل لي.

- وتسخرين من تواضعي!

لم أخبركم، أنا أيضاً من الحين للآخر أكتب بعض الخواطر أو ألقي بعض الكلمات المغازلة لغيث، بقينا نناظر بعضنا ونقهقه لبعض الذكريات قبل أن يقاطعنا صوت رسالةٍ وصلت لهاتف غيث.

من ضحكاتك الرنانة أرى أنني تركتك كثيراً تحزن لفراق والدك! لكنني "
عدت الأن يا ابن طارق، تذكر تلك الضحكات جيداً؛ لأني سأنسيك إياها عما
" قريب

الفصل الخامس

.(هديل)

كان طريق العودة يهيمن عليه صمتٌ قاتل، لا أعرف ما يجري حقاً فبعد ما تلقى غيث تلك الرسالة التي أبى أن يخبرني محتواها أو مِن مَن، كان القلق يعتريه وعدنا أدراجنا وها نحن بالسياره.

غيث حبيبي ما بك؟ مِن مَن كانت الرساله؟ ماذا قرأت حتى تعكر مزاجك - هكذا؟!

لا شيء حبيبتي، بعض المشاكل بالعمل لا غير، لا تقلقي ذاتكِ، كل شيءٍ - بخير.

صمت، هكذا إنقضى طريق العوده، صمتٌ قاتل يعترينا وفضلت عدم الإصرار؛ فبنهاية المطاف يأتي إليَّ غيث مفصحاً عن ما بجعبته، وبعد مضيّ عشر دقائق كنّا قد وصلنا.

ألن تأتي؟ -

- لا حبيبتي إصعدي أنتِ، أنا سألتقي بآدم؛ وأقوم ببعض الإتصالات لأرى حلاً لمشاكل العمل.

- هل آدم هنا؟! متى جاء؟

- هو في طريقه، يكاد يصل، هيا إصعدي أنتِ لإذهب له كي لا أجعله ينتظر.

- حسناً لكنني لن أدعك وشأنك حتى تخبرني ما بك؛ فحجة العمل لم تنطلي عليّ، إعتني بنفسك.

- وأنتِ أيضاً.

ودعت غيث وما أن خطت قدمي مدخل الفندق حتى سمعت صرير إحتكاك العجلات السريع بالأرض معلناً عن ذهابه، حسناً سيد غيث، الوقت كفيلاً بأن أعلم ما يجري معك، فقط كن بخير.

- سحابة زرقاوتيه أطلت أخيراً.

- لكنها غائمه وأرى شرارات البرق تتصاعد، أظن أن علينا الهرب عزيزتي رهف.

لم أعرهم إنتباهاً حقاً؛ فبالي مشغولٌ بغيث حد الجنون، خلعت حذائي ورميت بجسدي فوق الأريكة مغمضة العينين.

- أين ذهب أخي يا سارقة الإخوه؟

.ذهب لرؤية حبيب القلب -

!من حبيب القلب؟! أنا لا أعرف عن من تتحدثين -

.لا داعي للقلق عزيزتي؛ فأنا أعلم -

لا أدري كيف اصطدمت هذه الوسادة بوجهي وكيف أصبحت بقوة
!صخره

أيتها الحمقاء! لما تقذفينني بالوساده؟ أنا لم أخبرها هي من لاحظت وجاءت - .تخبرني فقلت لها

حقاً رهف هل تَعتقدين أنكِ كنتِ تخفين الأمر! فلو كنتِ تودين الإفصاح عنه - .لما عرف بهذه السرعه

ما هذا الهراء الذي تتفوهان به! أنا حتى لم أفتح معه حديثاً عن هذا - .الموضوع أو أي موضوع، ولم ألمح بشيء

أجل لم تتحدثوا، لكن ماذا عن القلوب الطائفة لمجرد ذكر اسمه؟ وإشتعال - وجهك بوجوده؟ كيف يمكنك أن تكوني أخت غيث وأنتِ لا تملكين من صفاته
!شيء؟

لا يمكنها أن تأخذ منه شيء أختي العزيزه؛ فهي حمقاء أما غيثي فهو - .إستثناء، لم يأتي قبله ولن يكون بعده

.(بذات الأثناء (غيث

كنت بداخل السياره أنتظر وصول آدم الذي ما أن وصلتني رسالة ذاك المجهول حتى أخبرته وقال أنه سيأتي، حقاً ونعم الصديق، منذ أن إلتقيت به ولم أجد منه سوى الوفاء، وكان لي الكتف الذي أستند عليه دون خوفٍ وكلي ثقةٌ به.

.(قبل خمس سنوات (غيث

ها قد مر على وفاة أبي المفاجأة عشرة أيام! عشرة أيامٍ لم أذق فيهم النوم سوى بضع ساعات، لم أذرف ولو دمعةً واحده حتى الأن، أستقولون متبلد المشاعر متحجر القلب؟ حسناً قولوا ما تريدون، أما أنا فسأقول لكم أنني ذرفت أكثر من تلك الدموع دماً بحرارة حمم بركانٍ ثائر، أبي كان لي كل شيء، القدوه، السند والأمان، ذهب دون وداع، تلقيت الخبر بمكالمةٍ من غريبٍ قائلاً أن رقمي كان آخر من وجدوه بسجل المكالمات، وقتلني حياً حين

إسترسل " تعازيَّ لك لقد فقد حياته بحادث سياره " لا أعلم كيف ذهبت لمكان الحادث وكم من الوقت إستغرقت، لكنني أذكر جيداً ما رأت عيني حين وصلت ذاك المكان المشؤوم، زجاجٌ مكسور بكل مكان، دخان متصاعد وسيارة أبي محطمه والدماء تسيل أرضاً، منذ ذاك اليوم وأنا المعين لأسرتي، أمي وأختي الصغيره، بربكم كيف لي أن أضعف ولم يبقى لهم غيري؟! كيف سيصمدون وهم يروني بحالةٍ يرثى لها؟ لم يكن لديَّ خيارٌ آخر، إما الضعف فنموت قهراً، إما الجمود وتبلد المشاعر وتحجر القلب كما قلتم؛ فهم خير وسيلةٍ كي تبقى عائلتي صامده.

كنت أجلس بسيارتي على الطريق أمام بوابة المقابر التي تحوي جسد أبي الذي أحنى ظهري حزناً لفراقه، لا أنا بقادرٍ على الدخول، ولا أعلم إلى أين أذهب.

- يا صديق هل أنتَ بخير؟

- ها! من أنتَ؟

- أنا أدعى آدم، كنت قادمٌ لزيارة أحدهم ورأيتك أثناء دخولي وها أنا خرجت وأنتَ لازلت بذات الماكن! حتى لم تطفئ محرك السياره، أشرت لك لكنك لم تلحظ فقلت لأطمئن عليك، هل أنتَ بخير؟

و هل يسأل الميت عن حاله؟ -

أتود إحتساء كوب قهوه؟ -

الفصل السادس

.(الحاضر (غيث

غيث، هل أنتَ بخيرٍ يا رجل؟ -

آدم! متى أتيت أنتَ؟ -

.الأن أتيت وجئتك ملوحاً لم تلحظني -

.شردت قليلاً بالماضي حين إلتقيتك وتمنيت لو أني لم أعرفك -

لن أعيرك إهتماماً لأني أعلم أن ما قلت مجرد هراء، وأنك دوني بائسٌ لا - .محاله

.حسناً دعك من هذا، إصعد وأخبرني على ما حصلت -

لم أحصل على شيء، وكأن من راسلك شبحاً ما! أنا لم يصعب عليَّ يوماً - .إيجاد أحدهم! كل ما حصلت عليه هو إسمٌ واحد

ما هو؟ -

حسَّان، أيعقل أن يكون ذات الشخص؟ -

.(قبل خمس سنوات (غيث

.أعانك الله يا بني، والدك كان نعم الصديق -

.أشكرك -

كنت أقف بمقدمة الصف أتلقى تعازي الجميع، لقد مر اربعون يوماً! لست أدري حتى كيف مروا! كنت جسداً بلا روح، لم أعي بمن حولي؛ وكل ما كان بوسعي فعله هو الوقوف، وأخذ بعض أنفاسي كي أقوى على مواساة أمي وأختي، لكن ماذا عني؟! من بعدك يقويني وأسند ظهري عليه يا أبي؟

غيث لم يبقى أحد كل الناس رحلت، دعنا ندخل إلى الداخل كي ترتاح قليلاً - .يا صديقي

أنّى لي الراحة من بعد اليوم آدم؟ -

أنا بجوارك دوماً يا أخي، إرمي أحمالك عليّ ولا تقسوا على نفسك بالكتمان - .غيث

أخذ آدم الذي مضى على صداقتي به شهر بيدي ودخلنا المنزل الذي لم يكن به سوى أمي ورهف، جلست بينهما وضممتهم لصدري وكأن هذا ما كانتا

بحاجته؛ فقد جلسن يذرفان الدمع بالآهات، رغم جفاف عيني كان القلب دامياً يكويني بنار حزني.

- أخي، أهكذا لن أرى أبي مرةً أخرى؟

ضممتها لصدري وأخذت أربط على شعرها مواسياً؛ فإن تحملت أنا حزني كيف لها أن تقوى على ذلك؟!

- لا تزيديني ضعفاً يا حبيبة أخاكي، أنا سأظل لجوارك دوماً، كل شيءٍ سيكون بخيرٍ رهف.

- أريد أبي، أريد أن أراه.

- حبيبتي إنظري إليّ، هل نسيتي كلام أبي لكِ دوماً حين تشتاقين لأحدهم؟

هزّت رأسها نافيةً وهي تجفف دموعها.

- أخبريني ماذا كان يقول لكِ إذاً.

من سكن القلب يوماً وإن رحل، يظل دفئه داخل قلوب أحبابه باقياً، وتدوم ذكراه بالخلد ما دمتي باقيه "

- وماذا أيضاً يا نور عين أخيكي؟

إن غلبكِ حزن شوقكِ لمن غاب، أغلقي عينيكِ وتخيليه بأبها طله، وارسمي " " فوق ثغركِ أحلى بسمه، هكذا يصل إليه شوقكِ

إذاً ماذا تنتظرين؟! هيا إذهبي لتنامي وأغلقي فيروزيتيكي وتخيليه لكي - يشعر بشوقكِ له.

صعدت رهف وأمي معها وبقي آدم معي.

ما رأيك أن نسير بالخارج لعل الهواء يرح قلبك قليلاً؟ -

همهمت له موافقاً، لكن ما أن خرجنا من المنزل حتى رأيت رجلاً يقارب من العمر الخمسون عاماً يسند ظهره على سيارةٍ سوداء خلفه، ما أن رآنا حتى علت شبه إبتسامةٍ فوق جانب شفتيه وسار نحونا ناظراً إليّ!

العزاء لك، من المؤكد أنك ابن طارق؛ فقد أخذت شكله. -

أشكرك، لكن من أنتَ؟ وما صلتك بوالدي أنا لم أرك من قبل؟ -!

لو عن من أنا فأنا أدعى حسان، حسان منصور، تذكر هذا الاسم جيداً، وأما - عن صلتي بوالدك؛ فلم يحن وقت معرفتك بهذا بعد.

إنتظر هنا أخبرني ما صلتك بوالدي؟ -

إلى لقاءٍ آخر يا ابن طارق، إياك ونسياني. -

وهكذا ذهب هذا الغريب ولم أره مجدداً، رغم بحث آدم المكثف عنه فهو يعمل بالشرطه، لكنه لم يجد عنه أي شيء وكأنه لم يخلق، حتى وارت ذكراه الأيام.

(الحاضر) رهف.

مللت حديث هديل وريما وتركتهم لأرح رأسي من سخريتهم قليلاً، وقفت في الشرفة المطله على الطريق ومن جهته الأخرى كان يظهر الشاطئ، أخذت نفساً عمقياً عله يهدئ من روع نبضات قلبي الغبي الخائن، الذي ذكّرني بآدم كعادته كل ليله، آهٍ لو كان بإمكاني إنتزاعه من أعماق قلبي، لا أعرف كيف أحببته هكذا! رغم عدم إظهاره أي نوعٍ من الإعجاب ولو قليلاً تجاهي، يالي من عديمة الكرامه كي أحب من لا يراني، تنهدت ساندةً ساعدي على سور الشرفه، مريحةً رأسي على قبضتي ناظرةً للطريق شاردة الذهن لأفيق بملاحظتي سيارة أخي غيث الذي هبط منها ورفع نظره إلى الأعلى ليراني فتبسم ملوحاً لأبادله، لكن ما أن رأيت باب الجهة الأخرى يفتح وهبط منها آدم حتى إعتدلت بوقفتي وجمد وجهي، رفع رأسه لتلتقي أعيننا للحظاتٍ

ليس إلا وإذا به يبعد وجهه صاعداً بجوار غيث، يا له من غبيٍ عديم المشاعر أعمى البصر، آهٍ يا إلهي أكاد أفقد صوابي! لما بليتني بحب من لا قلب له؟

رهف ما بكِ تقفين هنا هكذا؟! جاء غيث تعالي لترحبي به، وحبيب القلب - أيضاً.

تقصدين أعمى النظير -.

الفصل السابع

(هديل).

كنا نجلس أربعتنا، أنا وغيث ورهف وآدم؛ فأمي وأبي قد كانا بالخارج قبل وصولي، وربما قد إختلت بنفسها بالغرفة تحدث خطيبها زياد، الذين ننتظر زفافهم خلال شهورٍ قليله، كان الجميع شارد الذهن؛ فرهف كانت شاردةً كالعاده بآدم الذي كانت تسترق النظر إليه بين فنيةٍ وأخرى، بنظراتٍ يملؤها الشوق والحزن، وآدم لم يكن حاله بأفضل منها؛ فهو كان شارد الذهن يعتلي وجهه ملامح الحزن والقلق، أما غيث فكان جامد الملامح، لا يستطيع أحد فهم

ما به سواي أنا التي أفهمه أكثر من نفسه، هنالك ما يقلقه لكن لن يبوح به، قمت من مكاني واقفةً أمامه ومدت يدي إليه ودون تردد أمسك بي، إتجهت به إلى الشرفة بعيداً عن الجميع كي أستطيع الحديث معه، ولأترك لرهف وآدم فرصةً علَّ أحدهما يتخطى حاجز الصمت الذي يلجم ألسنتهم.

- غيث، حبيبي ما بك؟ أخبرني أنا أعرف أن هنالك شيءٌ يقلقك، أخبرني به عزيزي علِّي أقدر أن أخفف عنك حملك هذا.

تنهد وطأطأ رأسه أرضاً كمن يحمل فوق كتفيه حمل العالم أجمع لأرفع وجهه نحوي وأبقيت يديَّ مستقرةً فوق ذقنه النامي، ناظرةً إليه، إلى زرقاوتيه الغائمه.

- أخبرني ما بك حبيبي؟ ألم نتفق ألا تحمل أعبائك وحدك؟

أمسك بيدي وقبّل باطنها قبلةً طويله دافئه مبقياً إياها بين دفء يديه، ونظر لي بمحيطيتيه جاعلاً إياي أغرق بعمقها غير طالبةً للنجاة؛ فما أحلى الغرق إن كان به.

- لقد عاد.

- من؟!

- حسان.

.عقدت حاجباي قليلاً أستذكر اسم من هذا حتى توسعت عيناي لذكراه

!حسان منصور -

.أجل -

متى؟ هل قابلته؟ أفعل بك شيء؟! هل أنتَ بخير؟ ماذا قال لك؟ -

لم أقابله، أتذكرين صباحاً حين وردتني رساله؟ -

!أكان هو؟ -

.أجل -

لما لم تخبرني غيث؟! لما كذبت؟ -

لم أرد إقالقكِ قبل أن أتاكد، لم أرد أن أعكر صفو مزاجك وقد إلتقينا لتونا - .بعد فرقة أسبوعين

ماذا كان محتوى الرساله؟ -

رأيته يفتح هاتفه وناولني إياه لأقرأ تهديد حسان الصريح له! وقد فزع قلبي .على حبيبي من ما قد يكون يخطط له ذاك الحقير

ماذا ستفعل؟ -

.لا أعرف -

حاوطت وجهه بكلتا يداي والخوف يملؤ ملامح وجهي.

غيث أنا خائفةٌ عليك حبيبي، أرجوك إتركه لحال سبيله ولا تنبش بالماضي، - أخاف أن يصيبك مكروهٌ ما، أنا لن أقدر على فراقك غيث أرجوك.

أمسك يديّ مقبلاً إياهما عدة مرات ثم رفع وجهه ليقابلني ماسحاً دمعةً قد فرت من عيني.

لا تبكي هديلي، دموعكِ تحرقني، لا تخافي عليَّ حبيبتي، وأيضاً آدم معي لا - تقلقي لن يصيبني أي مكروه، غير ذلك نحن لا نعلم ما يريد إلى الأن، دعيني أرى ما يريده مني وأعدك أن آخذ حذري.

وضعت رأسي فوق صدره أذرف الدمع متمسكةً بقميصه خوفاً عليه.

أخاف أن أخسرك -.

ربَّط على رأسي مهدئاً ورفع وجهي وجففه إثر الدموع التي عجزت عن إيقافها.

لا تخافي هديلي، كل شيءٍ سيكون على ما يرام، كل شيءٍ سيكون بخيرٍ - حبيبتي.

(آدم).

كان التوتر يقتلني حقاً بجلوسي هنا بمفردي مع رهف، يا إلهي ارزقني الثبات، لم أقوى على النظر إليها مرةً واحده أو بدأ الحديث معها يوماً؛ فكلما وقعت عينيّ عليها خطئاً حتى تنقطع أنفاسي ويهيج قلبي بنبضه كأنه كان يجري أميالاً، ما بك آدم؟! إخجل من نفسك أنتَ شرطيٌ مرموق والجميع يهابك ويخافون النظر إليك من حزمك! ما الذي يجري لك هكذا بوجودها؟ !هل الحب يضعف هكذا؟

- سـ .. سأعد لنفسي كوباً .. من الشاي .. هل تريد؟

وقفت وكأن عقرباً لدغني دون النظر لوجهها، وجهها الذي ببياض الثلج، وعيناها، آهٍ من فيروزتها التي ترديني قتيلاً.

- لا .. أ .. أشكركِ .. أنا عليّ الذهاب لقد .. تأخر الوقت .. أبلغي غيث سلامي.

- لازال .. الوقت باكراً .. إ .. إبقى قليلاً .. سوف أستدعي غيث وهديل ليجلسوا معنا.

- لا أشكركِ .. دعيهم على راحتهم .. وداعاً.

طال صمتها قليلاً فخانتني عيني لأن أطمئن عليها وليتني لم أفعل؛ فحبيبة قلبي قد كساها الحزن من صدِّي لمحاولاتها بقائي وقتاً أطول لجوارها؛ لكننى لا أقدر، لكن لماذا تريد بقائي ولما نظرات الحزن والخيبة هذه؟ هل يعقل أنها أيضاً تكن لي المشاعر؟ توقف آدم لا تعلى بسقف آمالك كثيراً، لكن لم أقدر على الذهاب وهي حزينةٌ هكذا.

غداً سآتي لنقضي معاً وقتاً أطول .. أعني جميعنا نكون معاً غيث وهديل - والجميع .. حسناً؟

رفعت نحوي فيروزتها وقد أشرق وجهها قليلاً ورسمت فوق ثغرها الكرزي بسمة فرحتها، ونسيت نفسي حتى تحركت شفتها التي لم أسمع ما قالت حقاً لكنني عدت لرشدي وإستدرت راحلاً، تاركاً قلبي لجوارها كعادته؛ فهو أوفى مني.

الفصل الثامن

.(غيث)

بذات الفندق الذي توجد به هديلي كنت حجزت لي غرفةً مسبقاً، وآدم أيضاً يقطن بالغرفة المجاورة لي، كنت شارد الذهن بأمر المدعو حسان منصور ذاك الغريب الغامض، لا أعلم ما الذي يريده مني وما كان بينه وبين والدي! حتى أني منذ زمنٍ قد سألت والدتي التي كانت لأبي صندوقه الأسود ومخبأ أسراره عنه، وأخبرتني أنها لا تعرف شخصاً بهذا الاسم وأن والدي لم يذكره لها قبلاً! الأمر معقد رغم جهلي التام به، وأصبح يقلقني خوفاً على هديل ورهف وأمي، وإن خفت على نفسي فليس إلا لأجلهم فمن بعد أبي لم يبقى لأمي ورهف غيري أمان وسنداً لهم بالحياة، وهديل، أبعد ما مررنا به أتركها! قاطع شرودي طرق الباب ولم يكن سوى آدم بالطبع.

- ما بك أدق الباب منذ ساعه!

- هل أغلق الباب أم ستدخل؟

- فظ.

دخل وألقى بنفسه فوق السرير وليتكم ترون ما يردتيه، بيجامه سوداء ينتصف قميصها ذاك العصفور الأصفر " تويتي "، يا إلهي من يراه لا يصدق أن هذا ظابط شرطه مرموق يهابه الجميع!

لما لازلت متيقظاً؟ -

لم تقوى عيني على النوم دون رؤياك حبيبي -.

أظنني سأتقيأ -.

ضحك مستمتعاً بإثارة أعصابي، لولا أنه صديقي لكنت لقنته درساً يعيد الرشد لعقله.

وأنتَ لما لم تنم -.

أفكر بما ستحمله لنا الأيام القادمه -.

يا رجل هوّن عليك، كل شيءٍ سكون بخير، ثم إنك لا تعلم ما يريد، ربما - كان حاقداً على والدك رحمه الله وبعض المال يجعله يذهب.

آمل ذلك -.

(الكاتبه).

بذات الوقت بمنزلٍ مهجور بوسط إحدى الغابات البعيده، كان يجلس ذاك العجوز صاحب الثمانية وخمسون عاماً من عمره، ذاك الرجل الذي يحيا بفضل حقده وسعيه لإنتقامه، رغم مضيّ الأعوام وموارات التراب أجساد من ملؤوه كرهاً وشراً، يجلس وحيداً وسط الظلام الدامس الذي لا يكسره سوى نيران سيجارته الممسك بها، قاطع شروده بماضيه الأليم دخول مساعده وذراعه اليمنى بكل شيء منذ أن عزم على إنتقامه، شاباً قارب الثلاثين من عمره شديد البنيه قمحاوي البشره.

- سيدي كنت محقاً، جعل صديقه يبحث مجدداً وقد توصل لطرف الخيط الوحيد الذي تركناه له.

إعتدل بجلسته مطفئاً ما بيده ويعلوا ثغره ابتسامة شر.

- مثل أبيه، لا يضيع وقتاً، غداً ألقي له طعماً آخر يقربه من المصيده ودعنى نستمتع ببعثرته، لنرى ماذا سيفعل ابن طارق؟

(هديل).

استيقظت صباح اليوم التالي ورأسي يكاد يهشم من الألم؛ فأنا منذ البارحة لم أتوقف عن التفكير مطلقاً حتى أني عجزت عن النوم لساعات، أمسيت أتقلب يمنةً ويسرى بين حينٍ وآخر والأفكار تتضارب داخل عقلي والعديد والعديد من التساؤلات، ماذا يريد هذا الرجل؟ من هو؟ من أين جاء؟ وماذا يريد من غيث؟! يا إلهي إحفظه لي.

- هديل هل أنتِ مستيقظه؟

- إدخلي رهف.

دلفت وأغلقت الباب من خلفها وسواد عيناها يأكدان أني لم أكن وحدي متأرقةً البارحه، كلٌ منّا يشغل باله بمن يهواه، أتت وجلست لجواري تعبث بأصابعها شاردة الذهن لا تنطق بحرف فقط تجلس صامته.

- ما بكِ حبيبتي؟ أخبريني أحدث شيءٌ البارحة حين غبنا عنكم؟

أطلقت تنهيده طويله محمله بالعديد من المشاعر، الألم، العجز، العتاب والعشق، وآهٍ من نار العشق التي تحرق صاحبها.

- لم يحدث شيء، ككل مره ظل صامتاً يطالع كل إنشٍ بالمكان عداي، وكأني عدوى ما إن يطالعها أصابته بمرضها!

عدلت بجلستي مسندةً رأسها فوق صدري أمسح على شعرها وكأني أطلقت لعيناها العنان لتفرغ ما بهما من وجعٍ مكتوم، آهٍ كم آلمتني شهقاتها التي تحاول جاهدةً منعها.

- إهدئي حبيبتي، لا تقولي هذا أنتِ أجمل من قد تراها عيناه يوماً.

ردت وشهقاتها تمنع إتصال الكلمات ببعضها وكأنها تعبر عن ما هي به من تيه.

- إذاً .. إذاً لماذا لا .. يراني! .. لماذا لا يراني؟

- أظن أن ما يمنعه هو الخوف لا أكثر.

- الخوف من .. من ماذا؟!

- من فكرة خسارة أعز أصدقائه.

- لكن .. غيث لن يمنع .. عني سعادتي .. ولن يخسر .. أعز أصدقائه لهذا السبب مادام .. صادقاً.

- أعلم هذا وآدم أيضاً، لكن يبدو أن حبه الكبير لأخيكي جعل رهبته من فكرة خسارته إن علم بحبه المكنون لكِ بداخله تجعله يفقد صديقه الوحيد وبطبيعة الحال إن فقده سوف يفقدك، وهذا شيءٌ آخر يخاف منه يجعله يلتزم الصمت.

- وماذا أفعل؟

.تحدثي معه -

!كيف؟ -

سأحدث غيث أن نخرج أربعتنا لتناول الإفطار خارجاً ونفترق، وقتها حدثيه - بكل صراحه عن كل ما يكمن بداخلكِ له، وصدقيني سوف يفصح لكِ عن حبه.

!حقاً -

.حقاً -

.طوقتني بذراعيها في عناقٍ دافئ بادلتها إياه أربط على ظهرها بحنان

.أحبكِ جداً هديل -

.وأنا أيضاً عزيزتي، وذاك الأحمق أيضاً -

.أحمق -

الفصل التاسع

.(هديل)

- رهف هيا أسرعي، غيث ينتظرنا بالأسفل.

- هديل، أنا لا أود الذهاب.

- كفاكِ توتراً، هيا.

أمسكت بيدها وهبطنا لأرى غيث الذي ترجل من السيارة وآدم أيضاً، وقد كان التوتر بادياً عليه حيث أنه أغلق النافذة بدلاً من أن يفتح الباب ليهبط إلينا.

- لما كل هذا التأخير هديل؟ هلكنا من الإنتظار!

- ليس ذنبي، أنتَ تعرفني أنا لا أتأخر عن مواعيدي أبداً، كله من أختك المصون.

ذهب مقبلاً رأسها يضمها لصدره.

- حبيبة قلب أخيها هذه تفعل ما تشاء.

- هيا لنتحرك قبل أن يستيقظ وحش الغيرة وأحرق كلاكما.

ضحك الجميع وكلٌ منا صعد لمكانه، غيث يتولى القياده وآدم يجلس لجواره وأنا ورهف بالخلف، وأقسم لكم أني أكاد لا أميز بين ضربات قلبيهما المتوتره.

إذاً إلى أين سيأخذنا حبيبي؟ -

حجزت طاوله لنا على الشاطئ ما رأيك؟ -

هذا رائع أحب أن أرى غروب الشمس على الشاطئ -.

عمّ الصمت دقائق وقد بدأ غيث يلاحظ توتر رهف المفرط وهو ينظر لها من المرآة بين فنيةٍ وأخرى.

رهف حبيبتي، ما بكِ لا تبدين بخير؟ -

وكأنها لم تسمعه، لكن هنالك من لف رقبته كالبومه للخلف ينظر لحبيبته يرى ما بها وحين استوعب ما فعل أرجع رأسه للأمام ينظر لهاتفه، لكن هي لازالت شارده وقد بدأ القلق يتسرب لغيث؛ لألفت إنتباه رهف بإمساكي يدها منبهةً إياها.

رهف أخيكي يحدثك -.

ها! ماذا؟ -!

أقول لكِ ما بكِ أراكِ شارده؟ حتى أنكِ لم تسمعيني طوال الطريق ولم - !تتكلمي على غير عادتك الثرثاره

سامحك الله، هل أنا ثرثاره! وغير ذلك ليس بي شيء أنا فقط لم أجد ما - .أتحدث عنه

.ضيق غيث عيناه غير مصدقاً لكنه آثر الصمت وغير مجرى الحديث

.هيا لقد وصلنا -

ترجلنا أربعتنا من السياره وذهبنا إتجاه الشاطئ وكانت طاولتنا بمكانٍ منعزلٍ تقريباً وهذا ما أحببته كثيراً كي نبقى على راحتنا، جلست مقابلةً غيث الذي جلس آدم لجواره مقابلاً رهف التي سوف تكشف أمرها قريباً وتخرب ما .جئنا لأجله

.المكان رائع، إختيارك موفق كالعاده حبيبي -

.عزيزتي أنا دائماً رائع ليس فقط إختياراتي -

!أكاد أختنق من الغرور المنتشر بالجو -

قاطع حديثنا وصول الإفطار وإنشغل بعضنا بالأكل والبعض الآخر تشاغل .به عن ضجيج مشاعره

.(مجهول)

.أ .. سيدي هو على الشاطئ الأن مع خطيبته وأخته وذاك الشرطي -

.جيد، إذاً حان وقت إفساد متعتهم، جهز السياره -

.أمرك سيدي -

.(غيث)

.الطعام كان رائعاً، لقد إمتلأت معدتي من كثرة ما أكلت -

بالهناء حبيبي، ما رأيك أن نذهب للسير قليلاً؟ -

.حسناً هيا بنا -

.أنا وأنتَ فقط -

!لما؟ -

.لنسترح منهم قليلاً، منذ جئت لم أستطع البقاء معك وحدنا إلا قليلاً -

- حسناً هيا، آدم إعتني برهف جيداً وإن تأخرنا أوصلها للفندق.

- حـ .. حسناً .. لا تقلق.

إقتربت من رهف بجحة وداعها.

- تشجعي وأخبريه بكل شيء، أنا أنجزت ما عليَّ فعله الباقي يعود لكِ، لا تتوتري وتظلي صامته، تحدثي معه كي تريحي بالكِ وباله، حسناً؟

- حسناً.

أمسكت بيد غيث وإبتعدنا عنهم، كنا نسير على الشاطئ وكلٌ منا خلع ما بقدمه ممسكاً إياه بيداه، وجعلنا الماء يتسلل من حول أقدامنا، يا له من شعورٍ رائعٍ حقاً والهواء يداعب وجهي ويطاير خصلات شعري من خلفي وأن تلامس قدمي الماء.

- أنا على علمٍ بما تحاولين فعله.

- مـ .. ماذا!

- هديل هل تظنين أني أعمى أم ماذا؟!

تشاغلت بالنظر إلى الرمل مدعيةً الجهل بما يلمح إليه.

- لا أفهم عن ماذا تتحدث!

عن رهف وآدم، هل تعتقدين أني لم ألحظ ما يمرون به؟ ألن ألحظ تغير - أختي وصديق عمري حين يجتمعان!

غيث الأمر ليس كما تظن رهف تحبه حقاً، وأيضاً آدم لكنه لم يصرح عن - هذا أبداً ولا حتى هي، كلٌ منهم خائفٌ من شيء.

مني أليس كذلك؟ -

نعم. -

تنهد متوقفاً عن السير وقد جلس على الرمال ناظراً للأفق ثم رفع رأسه إليَّ وأشار لجانبه.

هيا اجلسي. -

جلست كما طلب والقلق يعتمرني من أن يعارض الأمر أو أن يغضب لإخفائي الأمر عنه.

لماذا لم تخبريني؟ -

ودت أن تخبرك رهف بهذا وفاتحتها بالأمر أن أخبرك أنا لكنها رفضت - خشية أن تغضب منها.

أتعلمين أمراً، أنا لا أمانع الأمر بل على العكس تماماً أنا قد سعدت حين - أحسست بما يمرون به، لكن ما يقلقني هو صمت آدم، بكل مرةٍ نجتمع سوياً

أراه يشرد ويبدأ القلق بالظهور عليه وأعلم أنه يود الحديث لكنه يتراجع بآخر لحظه، يا له من جبان!

- ليس جبن بقدر ما هو خوفاً من خسارتك حبيبي، أنتَ فقط إمنحه وقتاً ليجمع شجاعته.

- لا لقد أخذ كفايته من الوقت معي، أنا أعرف كيف أنطقه.

- ماذا ستفعل؟!

- سترين.

الفصل العاشر

.(رهف)

يا إلهي ما كل هذه الحراره هل لهذا الحد درجة الحرارة عاليه أم أني فقط من يتهيء لي هذا؟! ليتني لم أستمع لكِ هديل ليتني بقيت بالفندق، ماذا أفعل الأن؟ يا الله ساعدني وأنطق على لساني ما بقلبي عله يرتاح وتخمد براكينه.

- الجو .. حار أليس كذلك؟ .. هناك بائع مثلجات قريبٌ من هنا .. سأذهب لشراء إثنتين.

وذهب! لم يمهلني الوقت كي أعترض أو أوافق حتى! يبدو أني لست وحدي من يفتكه القلق والتوتر، دقيقه، إثنتان، ثلاث، هل فرّ هارباً هذا أم ماذا! حمداً لله لم يهرب ها هو أتى، جلس بمقعده وناولني المثلجات خاصتي وكانت بطعم الفراوله والشوكولاته كما أحب تماماً!

- تفضلي.

- أشكرك .. لكن كيف علمت الطعم المفضل لدي؟! أنا لم أخبرك.

أ .. أنا .. غيث .. أجل غيث قد أخبرني، كيف لي أن أعرف إذ لم يكن منه - صحيح؟

وها هو أملي قد خاب، وأنا التي ظننت أنه علم هذا بمفرده أو شيئاً من هذا القبيل، لكن أنّى له أن يعلم! إنها توقعات قلبي الأحمق فقط، إلتفت بوجهي أطالع أمواج البحر الثائرة وكأنها تعترض على صمتي، لكن كيف أقول هذا؟! كيف أعبّر عن ما بداخلي أولاً وليس العكس! هذا مؤلم.

أتعلم أمراً، أنا لم أحب الفراولة يوماً لكن أبي كان يحبها، كان دائماً ما - يشاركني المثلجات خاصته، كنت أحصل على واحده بنكهة الشوكولاته وهو بالفراوله وكان يخلطها ويطعمنى إياها قائلاً: " تخيلي كلما تناولتها أن مشاكل الحياه كسواد الشوكولاته وأن السعاده هي أحلامنا الورديه كلون الفراوله وأنه يجب علينا إضافة الأحلام كي تتلاشى المشاكل " منذ وفاته لم أقدر يوماً على تناول مثلجات الشوكولاته وحدها، دائماً ما أضيف إليها أحلامي الورديه.

رحمه الله، كم ودت لو كان لي نصيب لقياه - .

أخي - !

آدم، خذ مفاتيح السياره وإذهب بهم للفندق وإبقى معهم لحين عودتي - .

غيث ماذا يحدث؟ - !

.إفعل ما أقول، هيا أسرعوا -

!رحل بغمضة عين كما أتى! يا إلهي ماذا حدث؟

هديل، ماذا حدث؟ ما به أخي؟ -

.لا شيء رهف بعض الأشياء العاجلة بالعمل، هيا إصعدي للسياره -

ذهبت قبلهم للسياره ولكنهم توقفوا لدقيقه وتحدثوا عن شيءٍ ما قد جعل
.حدقتا آدم تفتح على مصرعيها، هناك أمرٌ يخفونه عني

.(قبل دقائق (هديل

.لازلنا نجلس على ذات الحال على الرمال، نطالع مغيب الشمس بهدوءٍ تام

.أتعلمين أمراً، هذه أول مرةٍ يقع فيها آدم بالحب -

!حقاً -

أجل، أخبرني يوماً أنه لم يقع بحب فتاةٍ قط، بالطبع كان ينجذب لجمال -
إحداهن لكنه لا يتخطى إعجابٌ عابر، ما أن ترحل الفتاة حتى يرحل معها، لم
أراه يوماً يتلظى بنار العشق إلا عندما تكون رهف بالجوار، أو أن يذكر

اسمها حتى أراه يشرد بعيداً وتكسوه فراشات العشق تارةً وتارةً يغيمه الحزن، وأرى عيناه تطالعاني خفيةً ظناً منه أني لا أراه.

أنا لا أصدق أن آدم هذا هو ذاك الشرطي الذي لا يهاب شيء! يا إلهي أنه - حقاً يحبك غيث.

- أجل إنه كذلك.

فجاةً قاطع حديثنا رنين هاتف غيث وكان رقماً غريب، ما أن أجاب عليه حتى كست ملامحه تعابير الدهشة والخوف والغضب، لم أكن أستطيع تميز ما يحدث لكنني علمت من كان.

- هل كان هو؟

- انهضي علينا العودة لهم.

- غيث ما بك لما تلك العجله؟!

- أنه هنا، أنه يراقبنا، لقد ذكر رهف وآدم بكلامه أسرعي.

كنا نركض عائدين نحوهم ولم نأخذ من الوقت الكثير؛ فلقد كنّا على مقربةٍ منهم، ما أن وصلنا حتى رأيت سيارةً سوداء قد تحركت كانت على الطريق المقابل لمكان مجلسنا، من المؤكده أنه هو.

.(آدم)

حسناً إصعدي للسيارة كي أعيدكم للفندق وأذهب للعثور على غيث، ولا - تخبري رهف؛ فهي لا تعلم أي شيءٍ عن حسان.

- لا تقلق، مجرد عملٍ طارئ بالشركه وغيث ذهب لأجله وسيعود قريباً.

جلست الفتاتان بالمقعد الخلفي، رهف خلف مقعدي وهديل تجلس لجواري ساهمةٌ تنظر إلى اللاشيء من خلال النافذه، بالطبع هبطت علينا رهف بوابلٍ من الأسئله عن غيث وعن الحديث الذي دار بيني وبين هديل خارج السياره، تجاوزنا الموضوع بسلام إلى حدٍ ما؛ فهي لم تقتنع كل الإقتناع لكنها توقفت عن السؤال.

- هيا إصعدا أنتما وأنا سأذهب وراء غيث لإرى ما المشكله التي حدثت بالشركه.

- حسناً إذهب وطمئنا، أنا ورهف سننتظر إتصالكم.

صعدتا بعد أن أنهت هديل حديثها ولكن نظرة الشك والخوف التي ألقتها رهف عليَّ شطرت قلبي نصفين، إعذريني حبيبة الفؤاد، ما الكذب عليكِ هيناً،

لكن إن علمتي ستكون حياتكِ مشوبةً بالقلق والخوف الدائمين وأنا لا أقوى على هذا.

الفصل الحادي عشر

(آدم).

ما أن ودعت الفتاتان حتى تحركت مسرعاً لمكان غيث بعد أن بعث لي بموقعه، وجدته جالساً أرضاً على جانب الطريق منكّس رأسه فهرولت نحوه وأفزعني ما رأيت! وجهه مزين بالكدمات والدماء تسيل من جانب شفتيه وأسفل حاجبه، وملابسه مبعثره وشعره مشعث وقبضة يديه تملؤها الدماء هي الأخرى!

- غيث ما الذي حل بك! من فعل بك هذا؟ أين ذهبوا؟ أخبرني هل تتذكر وجوههم؟ سأحدث المركز.

- توقف آدم أنا بخير.

- وما الخير بحالك هذا! أخبرني ما حدث؟

.(قبل دقائق (غيث

.آدم، خذ مفاتيح السياره وإذهب بهم للفندق وإبقى معهم لحين عودتي -

!غيث ماذا يحدث؟ -

.إفعل ما أقول هيا أسرعوا -

ركبت سيارتي مسرعاً خلف تلك السياره السوداء التي تحركت ما أن وصلنا حيث آدم ورهف إلى أن توقفت بأحد الطرقات الفارغه! هبطت من سيارتي وإتجهت ناحيتها، ما أن إقتربت حتى ترجّل رجلين ضخام الجثه كل واحدٍ منهم أمسك بذراعي مانعيني من الحركه، لكنني لقنتهم درساً جيداً أدى لنزول رجلين آخرين وقد تمكنوا مني لكثرة ماسكيني ولإستنزافي لقوتي، بعدها لم أدري ما حدث بعد أول لكمه زيّنة حاجبي الأيسر، وسط ضرباتهم !وصدّي الضعيف صدح صوتٌ يكاد لا يميز بينه وبين نهيق الحمير

.توقفوا -

رفعت رأسي تجاه الصوت وعيناي لم تسعفاني برؤيته بداية الأمر من الدماء والقليل من التشويش، أغمضت عيني بقوه وفتحتهم مرةً أخرى لتتضح

الرؤيا لي شيئاً فشيئاً، حتى ترائى لي وجهٌ ملأته التجاعيد والحقد الدفين وكأنك تناظر وجه أحد الشياطين.

- يالك من مغوار، لكن كما يقولون، الكثرة تغلب الشجاعه.

- من أنتَ أيها الحقير؟ ما الذي تريده؟

تلقيت الجواب بركلةٍ بمعتدي أدت لوقوعي أرضاً من شدة قوتها.

- هذا الآن مجرد تعريفٍ بسيط بمن أكون، بين حينٍ وآخر سأعرفك عليَّ أكثر يا ابن طارق.

أنهى كلامه ليلقيني رجاله على الطريق الآخر وبلمح البصر كانوا قد إختفوا من أمامي!

(في الوقت الحالي (غيث.

- ألم تلمح رقم السياره؟

- لا.

- حسناً لا عليك، سأرى إن كان يوجد كاميرات مراقبه هنا وأرى ما يمكنني فعله، الأن ماذا ستفعل؟ بالتأكيد لن تعود هناك هكذا، إن رأوك الفتيات كيف ستبرر؟

- أنا سأعود للمدينه، على كل حالٍ تبقى لهم أربع أيام للعوده لحينها تكون إنمحت تلك الكدمات قليلاً.

- ورهف أعني .. أعني ألن تأخذها معك؟

- لا، دعها تبقى مع هديل، وأنتَ أيضاً إبقى هنا لحمايتهم.

- ولكن!

- دون إعتراض آدم، سوف تبقى وتلبي إحتياجاتهم ولن تخرج إحداهن وحدها.

- حسناً.

(الكاتبه).

كان الجميع بحالةٍ من الإضطراب، القلق والخوف، غيث الذي عاد لمنزله بالمدينه بعد أن أخذ درساً قاسياً من هديل عبر الهاتف أنه ذهب دون إخبارها، ودون أن نغفل عن إخفائه لقائه بحسان وما حدث معه حتى لا يثير قلقها عليه أكثر، آدم الذي عاد لغرفته بالفندق مهموماً بعد أن إطمأن على الفتاتان وحصل بالمقابل على نظرة الشك والخوف بعيون مليكة فؤاده، وهو يخبرها أن عودة غيث كانت لأمرٍ عاجلٍ بالشركه، رهف التي يملؤها الخوف من المجهول، تعلم أن هنالك ما يخفونه عنها لكن لا قدرة لها على معرفته، وهكذا إنتهى يومهم واليوم الذي يليه إلى أن أتى موعد رحيلهم من الفندق للعودة لمنزلهم.

(آدم).

كنت أقف لجوار سيارتي وأمامي سيارة والد هديل وقد تحرك هو مع زوجته وريما أختها، رأيت هديل تهبط ولجوارها رهف حاملين أمتعتهم.

- دعوهم أنا سوف أحملهم، إصعدوا أنتم إلى السياره.

ذهبت أضع الحقائب ورأيت هديل تصعد بالمقعد الخلفي ورهف تناظرها بعصبيه لم تستطع إخفائها وبالنهايه صعدت لتركب بالمقعد الأمامي، يا إلهي، إهدء أيها القلب، مجرد ثلاث ساعات طريق، فقط ثلاث ساعات طويله بجوار المحبوبه.

- آدم!

- ماذا؟

- ألن تصعد! أم أقود أنا وأنتَ تجلس بالخلف؟

- عذراً شردت قليلاً.

صعدت لكرسيّ القياده وتحركت، ظل الجو هادئاً نوعاً ما عدى عن ضجيج قلبي، الذي قرر أن يعزف مقطوعةً صاخبه غير متناسقةً بالمره، بفعل عطر المحبوبه الذي ملأ دواخلي وشعرها الأسود الطويل المتطاير إثر هواء النافذه، التي أدين لها بعمري لإعطائها لي فرصة إستراق النظر لها وهى سارحةٌ بالطريق، لا أعلم كم مرةً سبّحت من أحسن خلقها، سبحان من سواكِ لي يا كل ما لي.

الفصل الثاني عشر

.(رهف)

أشكرك هديل، لكنني سألقنكِ درساً لن تنسيه على هذا الموقف الذي وضعتيني به، رغم كل توتري وإضطرابي وعنف نبضاتي الثائره لقرب الحبيب التي تكاد تهشم ضلوعي، يال سعادتي بقربه! هل يدري أن رائحة عطره والخمر سواء؟ فلقد أسكرتني ولم أعد أقوى على الثبات.

خرجت منه تنهيده ثقيله أجبرتني على الإلتفات له وليتني لم أفعل، يا إلهي إرحم قلبي فهو لا يقوى على كل هذا، تسمرت عيناي على هيئته الرجوليه، كان يردتي بنطالاً من الجينز الأسود وقميصاً أبيض قد ثنى أكمامه، لتظهر هاتين اليدين الخمريتين بعروقهما التي برزت من ضغطه على مقود السياره، عيناه التي تنظر للطريق لكنها بعالمٍ آخر تجعلك تود لو تطوف بعقله لتعلم ما يشغل باله.

-أنتما مملان.

أفقت من شرودي على صوت هديل لأنظر لها كما آدم الذي نظر لها عبر المرآة.

- هل سنظل صامتين للساعتين المتبقيتين؟! ألا يكفي واحده! على الأقل قم بتشغيل أغنيه تكسر هذا الصمت الممل.

- نعتذر حضرة الفنانه هديل، أمرك مجاب، أهناك إختيارٌ معين أم نجلعه عشوائياً؟

- لنجعله عشوائياً ولنرى ما يقوله القدر من رسائل.

- وما دخل القدر!

- أنتَ لا تعرف، هديل تعتقد أن كل ما يحدث لنا من مواقف هي رسائل من القدر، مثل أن تستمع لأغنية معينه تحمل معانٍ تلائم موقف هي محتارةٌ به، أو جملةٌ ما تظهر لها على الهاتف أو مكتوبةٌ على أحد الجدارات.

وليتنى لم أفتح فمي أو أنظر إليه؛ لأنني لاحظت أنى لم أكن بهذا القرب له من قبل، كانت رائحته كأنها تطوف حولي تمنعني عن إشتمام أي شيءٍ آخر عداها، وعيناه، يا الله منهما، حين إلتفت لي لم أقدر على تركهما، أنهيت كلامي بأعجوبه وبقيت لحظاتٍ صامته صافنةٌ به وبجمال محياه، وظل هو

سارحٌ للحظات، كانت عيناه تبدو تائه وكأنه لم يسمع شيئاً مما قلت، لكنه أخيراً نطق الظالم وهو يبعد عيناه.

- فـ .. فهمت، حسناً لنرى ما هي رسالة القدر.

شغّل آدم المسجل لتصدح أغنيه لعبد الحليم حافظ.

" أول مره تحب يا قلبي وأول يوم أتهنى

ياما على نار الحب قالولي ولقيتها من الجنه

أول مره تحب يا قلبي وأول يوم أتهنى

ياما على نار الحب قالولي ولقيتها من الجنه

" أول مره، أول مره

(آدم).

!لو كان عبد الحليم حياً لسألته كيف وصف حالي بهذه الدقه؟

- آدم هلّ توقفت جانباً؟ المنظر رائع.

- أرى أن أوامرك زادت قليلاً يا ڤان جوخ المستقبل، لكن لا مجال للرفض.

توقفت وكان على يميننا البحر بزرقته والسماء التي أوشكت على المغيب، لكن جمال هذا المشهد لا يضاهي سحرها الفتّاك الذي أرداني قتيلاً، كيف للإنسان أن يكون بهذا الجمال؟! سبحان من سواكِ، رفعت صوت المسجل لتصدح باقي كلمات الأغنيه.

ليه بيقولوا الحب قسيه؟ "

ليه بيقولوا شجن ودموع؟

أول حب يمر عليا

قاد لي الدنيا فرح وشموع

إفرح وإملى الدنيا أغاني

لا أنا ولا إنتَ هنعشق تاني

إفرح وإملى الدنيا أغاني

لا أنا ولا إنتَ هنعشق تاني

" أول مره، أول مره

(هديل).

هل تتسائلون عن وضعي الأن؟ دعوني أخبركم، أولاً أنا أرى عصافير الحب تحلق فوق رؤوسهم بجميع الإتجاهات حتى أن أحدهم فقع عيني وآخر لا يكف عن نقر رأسي، ثانياً لا أسمع الأغنيه من صوت طبول الحرب الضارمة بين ضلعيهما، يا إلهي هل آدم حقاً بهذا الغباء والجبن؟ ألا يقدر أن يغلق ذاك المسجل عديم الفائده ويقف جانباً وينظر إليها ويخبرها " رهف، أنا أحبكِ وأذوب بكِ عشقاً ولا أرى سواكِ وأريد أن أتزوجك " ليته تعلم من صديقه.

أنا أسحب كلامي، دعنا نكمل باقي الطريق فقد مللت صحبتكما، ليتني عدت - مع أبي وأمي.

وتتركيني وحدي -!

وهل سيأكلك؟ كنتِ ستموتين مللاً فقط من صمته الذي طال -.

وبالطبع آخر جملتي ذات مخزى قد وصل له حين أشاح بأنظاره الحزينه من جملة رهف الغبيه للسماء وكأنه يراها لأول مرةٍ بحياته، ركبت رهف وهي تكاد تنفجر إحراجاً وغضباً سوف أدفع ثمنه لاحقاً فإستغللت عدم ركوب آدم بعد وإتجهت نحوه.

- إسمعني جيداً يا حضرة الظابط المخيف، تملّك بعض الشجاعة وأخبرها بما في جعبتك وأرحها وأرحنا جميعاً، وإلا لن أرحمك من غيث.

- ماذا تقولين أنا لا أفهم؟ .. ما الذي ينويه غيث؟ ماذا!

- لقد فهمت ما أقصد والباقي عليك، يا إلهي أنتم عكس بعضكم تماماً بأمور الحب.

- أهذا يعني .. أن غيث .. لحظه لحظه.

- يعرف كل شيء أجل، كل العالم يعرف ومن يخصهم الأمر لا يعرفون! إمنحني الصبر يا الله.

تركته بخضم صدمته أو خوفه وإتجهت نحو المقعد الخلفي وقبل أن أصعد بعثت برسالة تمام المهمه.

" فعلت ما أخبرتني وحشرت برأسه السميك أنك تعرف ما يظن أنه يخفيه "

" هذه هي حبيبتي، دعيه الأن وسوف يأتيني راكضاً قريباً "

الفصل الثالث عشر

.(حسان)

أخبرني ما الجديد؟ -

.أ .. سيدي .. لقد عادوا من إجازاتهم كلٌ ببيته لكن آدم فى طريقه لعمله -

.راقبوهم جميعاً وأخبرني بكل جديد، هيا إذهب -

إبنك يشبهك كثيراً يا طارق، عاشق ولهان وعنيد لا يقبل الاستسلام، لكنك .خائن، لن أقول لحسن الحظ ليس مثلك؛ فأنا سوف أجعله شخصٌ أسوء منك

.(في اليوم التالي (هديل

كان يوماً شاق البارحه، بالنسبة لأهلي بالطبع ليس لي فأنا ما أن خطت قدمي الشقه ركضت نحو غرفتي أستمع لأمي تهددني أن أعود واساعدهم في توضيب الحقائب وتفاديت بصعوبه حذائها، لحسن الحظ أمتلك حماماً بغرفتي

أخذت حمام دافئ لأرخي جسدي من الجلوس بالسيارة لما يقارب الثلاث ساعات و وضعت رأسي على الوسادة وغصت بعالم الأحلام.

أما الأن فأنا معاقبةٌ بترتيب ثيابي في الخزانه بعدها سأرتب المنزل المرتب من الأساس! أمي المتعبه، إنتشلني من تذمري استيعابي أنني لم أحدث غيث حتى الأن! فتركت ما بيدي واتجهت نحو الهاتف وأنتظر أن يجيب على الإتصال ولم أطل إنتظاري.

- حبيبي صباح الخير.

- صباح الخير.

- ما هذا هل لازلت نائماً! ألا يفترض بك أن تكون في الشركه؟

- منحتني إجازةٌ ليومين.

- إذاً انتظرني سوف آتي إليكم للغداء اليوم، بعد أن أهرب من أمي بالطبع.

- لا!

- ماذا؟!

- أقصد .. أقصد أنا لن أكون في المنزل، بعد قليل سوف أخرج لمقابلة آدم، حتى أنني تأخرت هيا وداعاً سأحدثك في وقتٍ لاحق.

إما أنه يتهرب مني، أو يتهرب مني، هل قلت أنني سوف أذهب على الغداء؟ أظنني سأذهب الأن، إرتديت ثيابي وخطرت ببالي فكره.

- رهف أود منكِ خدمه.

- أي شيء.

- أود منكِ محادثة آدم الأن وطلب لقائه في أي مكان لكن المهم أن لا تدعيه يرحل إلا حين أحدثكِ مجدداً.

- ما الذي تقولينه! بالطبع لا، أنا أتصل به لأخبره أن نلتقي! هل تمزحين؟!

- رهف أرجوكِ، أشعر أن غيث يتهرب مني وقال أنه سيلاقي آدم وأعلم أنه يكذب، لذلك حدثي آدم ولا تتركيه، ومنه تكون فائدة لكِ للجلوس معه قليلاً وحدكم ليت أحدكم ينطق وأرتاح منكم.

- أود تأكيد نصف شكوكك، أخي ليس في المنزل منذ أن غادرنا في العطله، علمت هذا من أمي، لكنه مع آدم في منزله.

- أنا سأريه، أشكرك رهف وداعاً.

إرتديت ثيابي وساعدتني أختي للهرب من أمي التي سوف تصب جام غضبها عليّ حين أعود لكن عليّ أن أعرف ما الذي يفعله هذا المحتال!

.(رهف)

أنا جننت، بالطبع جننت، كيف وافقت على طلبها وكيف سمح عقلي ليدي بأن تبعث له تلك الرساله النصيه! ليتها إقتصرت على هذا، كيف لي أن أخطئ واضغط حذف لديّ فقط! يا إلهي ارحمني من غبائي سوف يقتلني يوماً.

" حسنا "

هل يرد بإقتضاب أم يهيأ لي؟ على كل حال جهزت نفسي وها أنا في الطريق للقياه في أحد الكافيهات القريبة من منزلي، وصلت بعد نصف ساعه لأراه واقفاً أمام المقهى! هل عليه أن يكون وسيماً إلى ذلك الحد؟ أخذت نفساً عميقاً وحاولت تهدئة نبضاتي واتجهت نحوه.

- مرحباً آدم.

- مرحباً.

حسناً هو يرد بإقتضاب.

- لما لم تدخل؟

- المكان ممتلئ بالشباب دعينا نجلس في تلك الحديقة أفضل.

قال هذا وتحرك! ما الذي يحدث؟! تحركت من ورائه حتى توقف عند أحد المقاعد الفراغة بعيداً قليلاً عن الزحام وظلّ واقفاً يمسك بهاتفه.

- آدم؟

ظلّ ناظراً في عكس إتجاهي يقلب في هاتفه ويجيبني بالهمهمه!

- هل فعلت لك شيئاً ضايقك؟

- لا.

تحركت و وقفت أمامه وسحبت من بين يديه ما يشغله عني فلم يصدر عنه شيء إلا أنه أزاح رأسه يميناً وشبك ذراعيه خلف ظهره.

- أخبرني ماذا يحدث معك الأن وفوراً يا حضرة الضابط؟!

نظر إليّ عاقداً حاجبيه لا أعلم أمن غضبه أم اندهاشه من حدّت كلامي غير المعهود، تنهد عاقداً ذراعيه أمام صدره ناظراً إليّ بعيناه البديعتان الحادتان.

- تريدين أن تعرفي؟

شبكت يداي أنا الأخرى مثله بتحدٍ لا داعي له.

إن تكرمت -.

- هل أنا بالنسبة لك وحشاً من آكلي اللحوم أو أحد قطاع الطرق؟!

!مـ .. ماذا! ماذا تقول أنتَ -

.أقول ما فهمته من تصرفكِ ليلة أمس -

.أي تصرف وضح كلامك يا حضرة الضابط -

حين قالت هديل أن ليتها تحركت مع والديها وأخبرتيها مرتعبه وهل -
ستتركيني وحدي! هل وجودكِ معي يشكل خطراً عليكِ أم ماذا؟ إعلمي أنني
.أحميكِ بروحي فأنا أحـ .. أحترمكِ لأنكِ .. أخت صديقي

.أنا .. أنا لم أقصد هذا حين قلت ذلك، أنا اطمئن حين تكون بالجوار -

حقا! لماذا؟ -

.لأنني .. لأنك صديق غيث، ونعرفك منذ زمن .. ولم نرى منك سوى الخير -

الفصل الرابع عشر

.(آدم)

.أنا لن أحتمل أكثر من هذا

.غيث سيقتلني لكن يكفيني ما عانيت -

. ولم يقتلك ماذا تريـ -

.أنا أحبكِ رهف -

ترى ماذا يعني توسع عيناها وكأنهما سيخرجان من محجرهما وسقوط يداها لجانبها وفمها الفتوح نصفه؟

رهف! هل أنتِ بخير؟ -

!وأخيراً -

!ماذا؟ -

وأخيراً نطقت! يا الله، أتعبتني معك يا رجل، هل الإعتراف بالحب صعبٌ -
!لتلك الدرجه

!لحظه .. ماذا تقصدين -

اتركنا من الإندهاش، وأخيراً أستطيع أن أقول لك أني أحبك، أحبك يا -
.حضرة الشرطي

ليصفعني أحدكم رجاءاً ولن أزجه بالسجن، هل كل هذا العذاب والصمت خوفاً كان على لا شيء! هل أضعت كل هذا الوقت بالصمت وهي تبادلني .ذات المشاعر! لتحترق بالجحيم غيث أنتَ وخوفي منك

.تعالي معي -

آدم توقف ما بك! إلى أين سنذهب؟ -

لأخيكِ، سأقولها بوجهه لن أصمت أكثر و .. لحظه! هل قلتي إسمي الأن؟ - إسمي هكذا مجرد دون ألقاب؟

أحنت رأسها للحظات تحاول منع ابتسامتها التي لم تستطع منعها وعاودت .النظر إليّ

أجل، هل من مشكله حضرة الضابط؟ -

لا، إياكِ وأن تناديني بألقاب مجدداً، أظن أنه لم يعد لها داعٍ، أليس كذلك؟ - .يعني نحن الأن أصبحنا شيء .. أصبحنا

حبيبين، أصبحنا حبيبين هل يصعب قولها؟ -

- والله صعبٌ عليّ قولها خارج ذهني، حتى إن لم تشعري يدي الممسكة بيدكِ الأن أثلجت وبدأت بالإرتعاش.

- أخبرني مجدداً هل نجحت بكلية الشرطه بالوسطات؟

- لا والله كله بمجهودي الخاص.

- إذاً ماذا يحدث لك آدم! لما التوتر أنا من يجدر بها التوتر، ولما تخاف أخي هو ليس من آكلي لحوم البشر!

- لو تعرفين ما يفعله بي أخيكِ لما قلتي هذا، وأيضاً أنا لا أعرف لما أنا هكذا، منذ أن أحببتكِ وأنا تغيرت، حين أكون لجواركِ لا أعرف ما يحدث لي! أتعرق وأتلعثم ولا تتجمع معي الكلمات، وأود الهرب لكن أود البقاء معكِ قدر ما أستطيع، أشرب الشاي من يدكِ ويصلني عطركِ وأسمع صوتكِ حين تتحدثين.

- لم يعد هنالك داعٍ للقلق والتوتر بعد الأن، وبالنسبة لغيث إن أردتني أن أحدثه أنا.

- لا أنا سأفعل، لكن قبل هذا سوف أقوم بسجنه لبضع أيام كي يكون خلف القضبان لا يقدر على فعل شيء بي، ما بكِ تنظرين إليّ هكذا!

إن نسيت فهذا أخي الذي تتحدث عنه، سنخبره سوياً وأمحي من ذهنك هذه - الأفكار.

- كما تريدين حبيبتي.

- سبحان من أنطقك، عذبتني معك آدم.

(غيث).

يا إلهي كان ذلك وشيكاً، لكن لحظه! يالي من غبيّ، بالطبع سوف تهاتف رهف الأن وتعرف أني لست بالمنزل منذ غادرتهم، أتمنى أن لا تفعل، أتمنى، وقفت متجهاً نحو المرآة لأقيم وجهي، لا يجدر بها أن تراني هكذا الكدمات لم تذهب بعد، ماذا عساي أقول لها حجةً أخرى إن حاولت رؤيتي، رحلة عمل، نعم هذا أفضل شيء، قاطع أفكاري صوت رنين جرس الباب، أتمنى أن يكون آدم نسى المفتاح أو أي شيء غير ما أفكر به، إتجهت نحو الباب ونظرت لأرى من بالخارج، جميل، هديل تقف بكامل غضبها تضع يدها على خصرها.

- إفتح الباب غيث أعلم أنك هنا.

هل أقفز من النافذه؟ ما بكم تسخرون مني بالطبع سأشعر بقليلٍ من الخوف بسبب غضبها، لا تعلمون كم تؤلم قواطعها على معصمي، لكنني استسلمت للأمر الواقع وفتحت.

- حبيبتي! مفاجأةٌ جميله.

- سأريك كيف تكذب عليّ.

كنت أتراجع للخلف أحاول حماية وجهي من مزيدٍ من الكدمات من حقيبتها.

- إنتظري .. هديل إنتظري .. دعيني أشرح لكِ.

- تفضل، ألقي بكذبةٍ أخرى هيا.

أبعدت يدي عن وجهي وهذا كان كافياً ليجعلها تتحول لحبيبتي اللطيفه المراعيه.

- ما هذا؟ ما به وجهك ما هذه الكدمات؟! هل أنتَ بخير من فعل بك هذا؟!

- على مهلٍ دعيني أجيبك، تعالي لنجلس في الشرفه، هل تريدين شاي؟

- أريد توضيحاً لما يحدث.

- حسناً تعالي.

أخذتها وجلسنا في الشرفة أحاول جمع كلامي ولا أقدر على إختلاق أي كذبه بسبب نظراتها التي تفتش بدواخلي الأن.

- من فعل هذا، أخبرني حالاً ولا تحاول الكذب أنتَ تعلم أني ساكتشف.

- رجال حسان.

- ماذا!

تذكرين آخر يومٍ بالعطله حين غادرتكم؟ -

- أجل.

لاحقت السيارة إلى أن توقفت بعيداً عن الناس، حين هبطت واتجهت نحوها - هبط منها إثنين من الرجال كالجدار حاولوا تقيدي لكنني اوسعتهم ضرباً كان عليكِ رأيتهم.

- غيث.

أعتذر، حين لم يقدروا عليّ هبط إثنين آخرين واستطاعوا النيل مني، على - كل حال الكثرة تغلب الشجاعه، حين انتهوا مني صدر نهيق من داخل السياره لم يكن سوى هو، حسان.

الفصل الخامس عشر

.(غيث)

- لهذا السبب لم أود إخبارك، توقفي عن البكاء هديل أنا بخير.

- لكن .. لكنهم .. أنتَ تأذيت .. أنا لم أعرف .. كنت .. تتألم وحدك .. لم أكن .. لجوارك.

يا إلهي ساعدني، أمسكت بكفّيها أحاول بث الأمان بها.

- هديلي إنظري إليّ، أنا بخير، لم أرد أن أجعلكِ تقلقين وأن أراكِ هكذا، توقفي عن البكاء أرجوكِ.

جففت دموعها أنظر إليها، ليس وقته أعلم لكن كيف لها أن تكون جميله وهي تبكي! أنفها المحمر وخداها، وشفتاها.

- غيث!

- ها! ماذا قلتي؟

ألم يخبرك ما الذي يريده منك؟ -

لا، لكن عاجلاً أم آجلاً سوف يفصح عن ما بجعبته، لا تشغلي باللكِ أنتِ - .بهذا، أخبريني كيف عرفتي أني هنا

.في الحقيقه .. أنا -

.هديل -

رهف أخبرتني أنك لم تكن في المنزل منذ غادرتنا وعلمت أنك هنا فطلبت - منها إبعاد آدم لأستطيع القدوم والشجار معك دون فضائح، لكن يكفيك ما .حدث لك، لتكسر أيديهم هؤلاء ال

!ماذا قلتي! رهف وآدم سوياً الأن؟ -

ابتسمت تلك الابتسامه البلهاء حين لا تعرف الإجابه، حملت هاتفي ناوياً الإتصال بآدم لكن صدح رنين المنزل فاتجهت لأفتح، الجبان، كان يقف خلفها .وكأنه لا يرى وهو مثل العمالقة مقارنةً بحجمها

!غيث ما به وجهك؟ -

.هديل بالداخل إدخلي واتركينا قليلاً -

:أمسك بيديها قائلاً بإندفاع

- لا لن تذهبي.

- آدم لا تختبر صبري.

- أخي حبيبي، تعال لنجلس ونتحدث بهدوء.

دخلوا واغلقوا الباب من خلفهم وحين توقفت بمنتصف الصاله توقف هو جاعلاً رهف مجبرةٌ على التوقف أيضاً.

- أترك يدها أيها الأحمق.

- لا.

- ماذا قلت!!

- أخبرتكِ أن أزجه بالسجن أولاً.

- أصمت آدم، أخي حبيبي.

- حبيبك! وماذا عني!

- أصمت أنتَ تزيد الطين بله، غيث يا أخي الجميل لما الإعتراض؟ هو صديقك وتعرفه حق معرفه وأنا أحبه وهو وإن كان بعد طول إنتظار إعترف بحبه أخيراً، لا تكسر فرحتي أرجوك.

- ومن قال أني أمانع؟ ومن قال أيضاً أني لا أعرف؟ أنتم مفضوحين جداً حين تجتمعون بذات المكان.

- يا رجل! حقا لا تمانع؟ ساتزوجها قريباً لا تمانع أيضاً أليس كذلك؟!

أبعدت رهف وإقتربت منه أرى حنجرته تتحرك إثر بلعه لريقه يحاول الظهور بمظهر الشجاع، وكل خطوةٍ أسيرها نحوه كان يسير مثلها للخلف حتى التصق بالحائط، وقفت أمامه أنظر له وأهمس.

- أختي ولن أحزنها وأوافق على ارتباطكم ومشاعركم لبعض، لكن حسابي معك لاحقاً على صمتك الذي طال دون إخباري أولاً، ودون إخبار أختي وجعلها تبكي الليالي ظناً منها أنك لا تبادلها ذات المشاعر ثانياً.

ركض ناحية رهف ممسكاً بيدها يغادر بها مسرعاً، جبان، إقتربت هديلي تقف أمامي تنظر لي بعينين يملؤها الحزن والخوف دون أن نغفل عن نظرة الحب التي لا تذهب من عينيها التي أحب.

- ما الذي علينا فعله الأن؟

- آدم يحاول العثور على أي معلوماتٍ عنه، وأنا ذهبت للشركة لكي أرى ملفات والدي القديمه ومقتنياته علّي أجد شيئاً لكن لم أجد بعد، أمي لا تعرف ولا رهف أنتِ فقط تعرفين، وأنتِ لن تفعلي شيء، كل ما أريده منكِ أن تظلي

معي وأن لا تدعي القلق يسود عقلكِ ولا تشغلي بالكِ، كل شيءٍ سيكون على ما يرام، أريدكِ فقط إن توترتي أن يكون توتر إقتراب الزفاف، شهرٌ وتصبحين زوجتي الجميله يا صغيرتي.

- لو تتوقف عن مناداتي صغيرتي، ما هذا اللقب كيف تقول زوجتي وبعدها صغيرتي! أنا إمرأةٌ ناضجه على وشك الزواج بأجمل رجلٍ رأته عيني يوماً.

- أنتِ صغيرتي وامراتي وزوجتي وكل شيءٍ بحياتي هديلي.

- تعرف أني أحبك أليس كذلك؟

- أعرف حبيبتي، هيا دعيني اوصلكِ للمنزل.

- حسناً.

(حسان).

- سيدي لقد عاد الشرطيّ آدم يبحث عن معلوماتٍ عنك وغيث أيضاً.

- دعهم يضيعون وقتهم في البحث على كل حال لن يجدوا شيء.

مدت يدي نحو أحد أدراج مكتبي آخذ منه صوره قديمه من سنوات وجودنا بالميتم أنا وطارق، وضعتها داخل ظرف وكتبت رسالةً قصيره سوف تشغل بال غيث وصديقه قليلاً.

خذ هذا الظرف، تأكد أن يصل لغيث دون أن يراك، دعنا نبدأ في فتح عينيه - قليلاً على ماضي أبيه المشرف.

في اليوم التالي (غيث).

كنا نجلس انا وآدم في الشرفه نشرب كوبين من القهوه في هدوء الليل، تستغربون الهدوء؟ لا ليس هدوء ما قبل العاصفه لقد مرت العاصفه، حتى أنها تركت كدمه على وجه آدم وبعض الكدمات تداريها الثياب، أنا لست شخصاً عنيفاً بطبعي لكنه يستحق.

- هل أنتَ بخير يا عزيزي؟

- فقط أصمت واخلد للنوم.

- هل أعطيك مسكناً للألم؟

- تناولت واحداً منذ قليل.

ضحكت عليه وتركته ناوياً الإتجاه ناحية الغرفه لكن رنين الباب أوقفني!

!من سيأتي في منتصف الليل؟

هل تنتظر أحداً؟ -

.لا -

فتحت الباب لكني لم أرى أحداً! حين إلتفت أود العوده للداخل لاحظت الظرف على الأرض! أخذته وأغلقت الباب أفتح الظرف وآدم جواري يرى ما بيدي لأجد صوره لشابين لم يتجاوزا الثانية عشر خلفهم تعلق يافطه مكتوبٌ عليها اسم أحد دور الأيتام، وكان يوجد مع الصوره رساله قصيره !حين قرأنا محتواها بقينا نناظر بعض أنا وآدم بذهول

أظن أن والدك لم يخبر أسرته عن ماضيه وعن صديقه العزيز، إذاً يتوجب " " عليّ فتح عينيك على الماضي قليلاً

.وبأسفل الورقة توقيع حسان منصور

الفصل السادس عشر

.(غيث)

أمي هل تعرفين شيئاً عن هذه الصوره؟ -

مـ .. من أين جئت بهذه؟ من هؤلاء؟ -

تذكرين في عزاء والدي سألتكِ إن كنتِ تعرفين شخصاً يدعى حسان وأنتِ - .قلتي لا تعرفيه

!أ .. أجل -

بعث لي هذه ورساله تخبرني أنه كان صديقاً لأبي وأنه كان هنالك ماضٍ لهم - لا نعرفه، هل كان أبي بدار أيتام؟ ألم يخبرنى أن والديه توفيا عندما كان بسن العشرين فعاش وحده إلى أن إلتقاكِ بشركة جدي؟ ماذا يقول هذا الرجل إذاً! .هل أنتِ متأكدةٌ أنكِ لا تعرفين هذا الشخص أمي؟ تذكري أرجوكِ

قلت لك لا أعرفه، وهذا ليس والدك من المأكد أني كنت لأعرفه إن كان هو، - .والأن اتركني أنا متعبه

غادرت أمي حجرة الجلوس واتجهت نحو غرفتها! لما أشعر أن هنالك ما !تخفيه؟ ولما تخفيه! ما هو ماضيك أبي؟

.(ليلى)

دخلت الغرفة وأغلقت الباب، اتجهت نحو خزانة الملابس وأخرجت ذاك الصندوق القديم، عدت أدراجي نحو الفراش أجلس عليه وآخذ أكبر قدرٍ من الهواء أحاول جمع أنفاسي المضطربه، فتحته لتطل عليّ ذكريات الماضي الأليمة دون رحمه، ها هي عيناه المحيطية تناظرني، أمسكت صورةً تجمعني بطارق أيام خطبتنا أنظر إليها بشوقٍ يقتل، إلهي كم إشتقت للنظر إلى عينيك والشعور بك جواري يا عزيزي، تركتها لأمسك بيدٍ ترتعش هذه الرساله القديمه، رساله تحمل خبايا الماضي، الماضي الذي دفع عمره كي يمحيه لكنه عاد يفتح من جديد.

ليلى، حبيبتي وامرأتي الجميله، أكتب إليكِ هذه الرسالة لعدم قدرتي على " قولها لكِ وجهاً لوجه، أخشى إن قلت هذا الكلام لكِ أن أرى ابتعادكِ عني ونفوركِ مني، صدقيني لقد تغيرت، وما سوف تعرفيه كان ماضٍ أسود أغلقت

صفحته ولن تفتح أبداً، أكتب إليكِ هذا الأن قبل أيامٍ معدودات من زفافنا لأني لا أريد أن أبدأ معكِ حياةً جديده لكم تمنيتها على كذب واخفاء حقيقة من أنا، كل ما أريده منكِ أن أعرف جوابكِ على هذه الرسالة إما برفض ما ستعرفيه ورفض إكمال حياتكِ مع رجلٍ بماضٍ كهذا، وإما أن تختاري نسيان الماضي وإكمال حياتكِ معي على ما أنا عليه الأن، تكملي حياتكِ مع طارق الذي يحبكِ أكتر من نفسه ويضحي بروحه من أجلكِ، واعلمي أني أحبكِ، أحبكِ جداً ليلى.

أنا لم أعش طفولتي في بيتٍ يحويه أم وأب يعلموني معنى الحب ويشعروني بالأمان، لم أرى يوماً أمي وأبي، حين وعيت على الدنيا كنت بين العديد من الأطفال رغم اختلاف أشكالهم واسمائهم كنا ننادي بعضنا إخوه، قالوا لي أن أهلي ماتوا بحادثٍ فجلبوني الناس إلى الميتم، ولم يجدوا جثثهم أو معلوماتٍ عنهم، كل ما وجدوه هو طفلٌ بعمر الأيام مغطاً بالدماء يصرخ أرضاً بجوار أحد السيارات المحطمه، لا أذكر أن طفولتي بالميتم كانت مرحه أو سعيده، كانت مملة وكأننا لسنا بشراً بل آليون، إذهب هنا نذهب، كل هذا نأكل، إرتدي هذا نفعل، لا اعتراض فإن اعترضت حرمت من العشاء، وتظل طوال الليل تستمع لقرقعة بطنك من الجوع، في يومٍ ما تعرفت على فتى وأصبحنا أصدقاء، نتشارك كل شيءٍ سوياً ونمضي كل الوقت معاً، كانت الحياة معه رائعه حتى عامنا الثامن عشر، تبنانا رجلٌ لو كنت أعرف ما سيحدث لنا

بسببه لما كنت قبلت الذهاب، لكن لو لا تفيد، عشنا عامين من السعادة والغنى فقد كان يسكننا بقصره ويطعمنا من طعامه ونرتدي أحسن الثياب.

فقط لعامين، من بعدها انقلب كل شيء، عرفنا أنه زعيم أحد العصابات، يعمل بالتهريب ويعيش بأموال أرواحٍ تزهق ظلماً، لكن صدقيني ليلى لم ألوث يدي بدماء بشرٍ أبداً، وكان هذا سبباً لتركي لهم ولتغير حياتي؛ فقد أمرنا ذات يومٍ أنا وصديقي ذاك أن نقتل أحدهم، أنا إعترضت، وقتها كنت أراكِ من بعيد وأعجبت بكِ، وكنا نلتقي من وقتٍ لآخر وقد أحببت حياتي معكِ، بنيت أحلامي معكِ ورغبت بكِ زوجةً وأماً لأطفالي، لكن عند هذا التخيل أفقت على واقعي وعلى المستنقع الذي غرقت فيه، لم يكن بمقدوري أن أبقى معكِ وأنا ذاك الشخص القذر فتركتهم، هربت تاركاً خلفي صديقاً ملقاً على الأرض مغشياً عليه بسببي حين حاول منعي عن الهرب، ورأيت الشرطة تقبض عليه وأنا لم أفعل شيء، حكم عليه مؤبد فشعرت بالراحة لعدم امكانيته من الدخول لحياتي مرة أخرى والحزن لخسارة صديق عمري الوحيد، حسان، حسان منصور.

من كان يتزعمنا قد قتل فلم تعد لي صلةٌ بأي شيء من هذا العالم القذر الذي وقعت به، أعرف أن ما قلته لا يصدق لكن هذا ما كنت عليه قبلاً ولا أفخر به، وليتني أستطيع أن أعود بالزمن لأغيره، لكن منذ أن قابلتكِ وقد تغيرت

صدقيني، منذ أن تركتهم حتى بدأت بالعمل بشركة والدك واجتهد وأتلقى ترقيات على نجاحاتي حتى صرت نائب المدير بالشركه، خطبتكِ وها هو لم يبقى على الزواج إلا بضع أيام، لم أكن أحلم بما وصلت له وكله بفضلكِ حبيبتي، كل ما أريده منكِ الأن رد، إما أن تدعيني أمسك يدكِ ونكمل الزواج وننسى الماضي سوياً، أو أن ترفضي ولن أظهر في حياتكِ بعد الأن أبداً، " وبكل الحالات إعلمي أنني أحببتكِ أكثر من نفسي، طارق

أغلقت الرسالة معيدةً إياها داخل الصندوق و وضعته داخل الخزانه، وقفت أمام صورة زواجنا التي بالغرفة أنظر لابتسامته الدافئة وعينيه التي تنظر لي بكل حب أجفف دموعي التي لا تتوقف.

آه يا طارق، آه يا حبيبي كم إشتقت إليك، سر الماضي لم يغلق يا طارق، عاد يفتح أبواب الجحيم علينا مجدداً، ما الذي عليّ فعله؟ فقدتك مرةً لا أستطيع تحمل فقدان غيث أيضاً! يا إلهي ساعدني.

الفصل السابع عشر

.(في صباح اليوم التالي (غيث

.مرحباً آدم -

.مرحباً -

أود منك معرفة عنوان ذاك الميتم الذي كان بالصوره وحين تصل إليه ابعثه - .لي ولاقيني هناك

في الحقيقة لقد فعلت ذلك أول شيءٍ حين وصلت لقسم الشرطه، سوف ابعثه - .لك الأن وحتى تجهز سأكون عندك لنذهب سوياً

.حسناً أنا أنتظرك -

.(آدم)

هل تظنون أنني سوف أترك عملي وأذهب لمنزله وأقود به حتى الميتم وكل هذه المشقة لأجل غيث؟! بالطبع لا، لكي أرى رهف ولو لثوانٍ، خرجت من مكتبي وتوجهت نحو سيارتي وقدت بأسرع ما لدي كي أصل قبل أن يجهز غيث، وهذا ما حصل فها أنا أجلس في صالة المنزل وغيث لازال يستحم، وما ألطف القدر؛ فلقد تعطف عليّ وجعل حبيبتي تأتي لتجلس معي ولم نكن بمفردنا في البداية فحماتي المستقبليه التي لا تعلم تلك المعلومة بعد كانت تجلس معنا، لكنها غادرت لتحضر لي كوباً من الشاي حتى يهبط غيث، كانت رهف تجلس على الأريكة المقابلة لكرسيّ فقمت من مكاني وجلست لجوارها.

- كيف حال حبيبتي الجميله؟

- بأفضل ما يكون يا عزيزي الماكر.

- أنا! وما الذي فعلته لأصبح ماكراً؟

- ألم تأتي باكراً قصداً قبل أن ينتهي غيث من الإستعداد للذهاب للمكان الذي سوف تذهبون إليه؟

- ذكريني من منكم أنتِ وصديقتكِ التي كانت تهتم بلغة الجسد والأشياء النفسيه؟

ضحكت وأردتني قتيلاً بصوت ضحكتها، يا إلهي إرحم قلبي أنا شابٌ بمقتبل العمر لا أريد الموت الأن من فرط جمالها وحبها.

- بماذا شردت؟

- بكِ.

- حقاً يا رجل!

انتفضت واقفاً وصرت على بعد مترين من رهف أنظر لغيث الذي يستند على الحائط ينظر لي بحاجب مرفوع.

- كيف حالك يا صديقي لقد انتظرتك كثيراً سوف نتأخر هيا أنا أنتظرك بالخارج.

(غيث).

وخرج، أستمتع برؤيته مرتعباً مني هكذا.

- أخي لماذا تفعل هكذا أنه صديقك منذ أعوام لما تعامله هكذا؟

هل رأيتي كيف غرد كالبلبل دون توقف وفر هارباً؟ هل حقاً تحبين هذا - الشخص! راجعي نفسكِ لازالت الفرصة سانحةٌ أمامكِ.

إقتربت مني تقبل وجنتي وتحتضنني.

أنتَ تعلم أنني بيدٍ أمينةٍ معه وأنه خير من يحافظ عليّ بعدك، وأنا أحبه حقاً - غيث، لأجلي لا تعامله هكذا مرةً أخرى يا أخي حسناً؟

يؤسفني أنكِ محقةٌ بكلامكِ، لكنني لن أعدكِ أني سأغير من معاملتي معه، - هيا وداعاً.

خرجت من المنزل لأرى الأحمق جالساً يقضم أظافره! هل هو مراهقةٌ في الخامسة عشر! ركبت لجواره وتحرك دون نطق حرف حتى وصلنا، لكنني بقيت في السيارة فبقي هو كذلك مستغرباً.

أيها الأحمق، إن احزنت أختي يوماً سوف اقتلك تعرف ذلك؟ -

يا أخي ارحمني، مرةً تقول موافقاً على حبي لها ومرةً تثير رعبي بكلامك - وافعالك! ما الذي تريده مني؟

لا شيء، فقط كنت مستمتعاً بإثارة رعبك -.

غبيّ وعديم الرحمه ولن أفعل لأجلك حسابٌ بعد الأن، أختك أصبحت - حبيبتي وانتهى الأمر وقريباً سوف آخذها كلياً منك.

- إن لم أعطيها لك لن أجد من أطمئن عليها بجواره غيرك، إهتم بها جيداً أنتَ تعرف ما هي رهف بالنسبة لي.

- سأضعها في عيني غيث لا تقلق يا أخي هي أغلى عندي من نفسي.

- هيا لندخل.

سألنا عن مكتب المدير ودخلنا.

تفضلوا بالجلوس، بماذا يمكنني أن أساعدكم؟ -

أخرج آدم بطاقته التي تثبت أنه شرطي.

- أنا الضابط آدم حسين، أنا وصديقي غيث كنا نريد أن نرى أحد سجلاتكم، لأننا نجمع معلوماتٍ عن شخص عرفنا أنه كان في هذا الميتم.

بالطبع سيدي في أي عامٍ جاء إلى هنا؟ -

- ١٩٤٤م.

- حسناً تفضلوا معي.

تحركنا خلفه إلى أن وصلنا إلى غرفة السجلات، بعد بحثٍ أخرج لنا الملف المطلوب، أخذت الملف منه وطلب منه آدم أن يتركنا ففعل، جلست أتفحص

الملف من أوله حتى آخره وآدم ينظر معي لكن لم نرى اسم والدي أو حسان!

استدعى آدم المدير ثانيةً ليبادر بسؤاله:

- هل يوجد ملفٌ آخر لهذه السنه؟

- لا سيدي هذا الملف الوحيد.

- هل أنتَ متأكد؟

- نـ .. نعم.

وقفت واتجهت نحوه أخرج الصوره التي وصلتني قبلاً أريه إياها.

- أنظر لهذه الصوره أليس هذا ميتمكم؟

- أجل أنه هو!

- هل تعرف هاذان الشابان؟

- إعذرني يا بني أنا رجلٌ تخطى الستين لا أذكر وأيضاً في هذا الوقت لم أكن أنا من يدير الميتم بل والدي رحمه الله.

- ألا تعرف أحداً يدعى حسان منصور؟

- ل .. لا يا بني.

- غيث يا أخي هيا نذهب.

- لكن آدم كيف هذا! ها هو الميتم يظهر خلفهم كيف إذاً لا توجد اسمائهم؟!

- لنذهب يا أخي.

الفصل الثامن عشر

.(غيث)

غادرنا غرفة المدير ونحن نسير في الرواق أوقفتنا فتاةٌ ربما في العاشرة من عمرها، تدعونا للسير خلفها فنظرنا لبعضنا متعجبين وسرنا خلفها حتى توقفت في مكانٍ في الحديقة ليس به الكثير من الأشخاص!

من منكم يدعى غيث؟ -

نظرت لآدم في دهشةٍ لا تقل عن دهشته وأجبتها:

أنا هو غيث، لكن كيف عرفتي اسمي؟ -

قبل أن تأتيا إلى الدار رأيت رجلاً يدخل إلى غرفة المدير فسمعته مصادفةً - يخبره أنه سوف يأتي شخص يدعى غيث يطلب رؤية ملفٍ ما ويبحث عن شخصين كانا في الدار منذ أعوام طويله، طلب منه أن لا يخبرك عنهم وطلب أن يرى الملف وأخذ منها ورقه وغادر قبل مجيئكم بقليل.

هكذا إذاً، أشكركِ يا صغيرتي خذي هذه لكِ -.

أخرجت من جيبي قطعة حلوى كنت جلبتها لهديل فهي تحب هذا النوع منها لكنه من نصيب هذه الصغيره، ولرد الهديه فقد قبلتني من خدي وركضت تضحك!

- لو علمت هديل هذا سوف تقتلك، جيد أملك ورقةٌ رابحه في يدي إن حاولت فعل شيء معي سوف أخبرها.

- أغرب عن وجهي قبل أن أقتلك أنا آدم.

عدنا طريقنا والصمت يلازمنا حتى وصلنا إلى منزلي.

- أكاد أجن، من المؤكد أن الرجل الذي أخبرتنا الفتاة عنه من رجال حسان، لكن لما يفعل ذلك؟ أليس هو الذي بعث لي الصورة من الأساس!

- اهدء وأنا سوف أتصرف.

- كيف وقد أخذوا الورقة من السجل؟

- أنا شرطي إن نسيت غيث سوف أجد طريقةً ما لا تقلق، فقط إمنحني القليل من الوقت، هيا إدخل أنتَ وأنا سأعود لعملي.

- حسناً وداعاً.

.(حسان)

أخبرني ماذا فعل حين تأكد من ماضي أبيه؟ -

.سـ .. سيدي، هو لم يجد المعلومات التي ذهب للبحث عنها -

!كيف! ما الذي تقوله أنتَ؟ هل اختفت من السجل وطارت مثلاً؟ -

سيدي علمنا أن أحدهم ذهب قبلهم وأخفى المعلومات التي كانت موجودةٌ -
.عنكم

كيف هذا! من هو هذا الشخص؟ -

.ل .. لا نعرف -

لا تعرف! هل أنا أعين حمقى لديّ أم ماذا؟! ما الفائدة منكم أيها الحمقى؟ -
.أغرب عن وجهي ولا أراك مجدداً إلا وقد عرفت من فعل ذلك

!من الذي فعل ذلك؟ من له مصلحةٌ في إخفاء الأمر؟

.(الكاتبه)

مر أسبوع على تلك الحادثه لم يحدث به الكثير، حسان يحاول الوصول لمن يعيق خطته، غيث وآدم يحاولون التوصل لأي معلوماتٍ عن حسان، علاقة رهف وآدم جيده وقلة معاملة غيث المتشدده مع آدم، هديل علمت بأمر الصوره والميتم والرساله وليس بيدها شيءٌ تفعه سوى القلق وأن تدعوا الله ليحفظ لها حبيبها، غير ذلك فقد تخرجت الفتاتان من الجامعه وكانوا مجتمعين بمنزل غيث للإحتفال فهو كبيرٌ مقارنةً بمنزل آدم وأسرة هديل.

(رهف).

لقد تخرجت! لقد تخرجت من الجامعة أخيراً، انتهت الحياة التعليميه أخيراً لا أصدق! وأكثر ما يسعدني أن آدم معي، من هواه القلب لسنين صار معي، أصبح من حقي وأحد ممتلكاتي وأغلاها، ما أجمل القدر حين يرق لحالنا ويهدينا ما نريد، ما أرحمك يا الله بقلبي، الحمد لله.

- بماذا سرحت حبيبتي؟

- كنت أحمد الله على وجودك معي.

- إذاً لست وحدي من أشكره على عطائه.

- هيه يا عصافير الحب، نحن هنا.

- هديل، أنتِ بغيضه، ألم يكفيكِ سنين جعلتيني أختنق فيها بحبكِ لأخي هل تستكثرين عليّ المثل الأن!

وقفت وجلست لجواري تحتضنني وتضحك.

- وهل أقدر! يا حمقاء أنتِ تعلمين أني أكثر الناس سعادةً بما آلت إليه الأمور بينكم.

- أعلم عزيزتي.

- رهف تعالي ساعديني حبيبتي لنخرج غطاء سرير و وساده من خزانتي لهديل.

- قادمةٌ أمي.

لم أخبركم، هديل سوف تبيت معي الليله، هو ليس بالأمر الجديد دائماً ما نفعل ذلك، نضع مراتب الفراش على الأرض ونقوم بوضع غطاء ونأخذ وسائدي و وسائد غيث وننام سوياً أنا وهي بغرفتي، لا تشغلوا بالكم بعلى ماذا سوف ينام غيث لأني اطرده من المنزل واجعله يبيت عند آدم في أيام بيات هديل عندي لكنه لم يذهب بعد البغيض يود قضاء بعض الوقت مع هديله.

اتجهت نحو غرفة والدتي وقد كانت تخرج الأغطيه من خزانتها لكنها لم تسمع بدخولي فحين إلتفتت و وجدتني فزعت واسقطت ما بيدها فسقط شيءٌ آخر معهم، صندوقٌ خشبي أول مرةٍ أراه! لمحت صوره قديمه لأبي وبعض الأظرف وصور أخرى، لكن ما أثار دهشتي اندفاع أمي لجمع ما وقع من الصندوق وإعادته للخزانة وحثّي على الخروج قائلةً أنها سوف تحضر الأغطيه هي وأن أذهب للجلوس مع الباقين!

خرجت عاقدةً حاجباي مندهشه مما رأيت ولم ألاحظ غيث إلا حين اصطدمت به.

- هل أنتِ بخير حبيبتي ماذا بكِ؟

- لا أعرف غيث، لكن أمي بها شيءٌ غريب.

- شيءٌ غريب! ما بها؟

- أعتقد أنها تخفي شيئاً بداخل صندوقٍ خشبي في خزانتها أراه لأول مرةٍ الأن، وكان فيه صوره قديمه لأبي في شبابه وبعض الأظرف وبدت قلقه حين سقط ورأيته.

الفصل التاسع عشر

.(غيث)

من بعد الحديث الذي دار بيني وبين رهف لم يهدأ لي بال حتى عدت للمنزل بعد أن غادرت هديل، فور عودتي انتظرت أن تنشغل أمي بالمطبخ حتى دخلت غرفتها سراً أبحث في الخزانة عن الصندوق الذي أخبرتني عنه أختي وبالفعل وجدته، موضوعاً أسفل بعض أغطية الأسرة والوسائد، أخرجته و وضعته على الفراش وقمت بفتحه، لتظهر لي صوره بالأبيض والأسود لأبي أمام مقر الشركة الخاصة بنا، وصورةٌ أخرى لأبي وأمي في فترة الخطوبه وأخرى في الزواج، وصور لي ولرهف أيضاً، وكان هنالك أظرف، لكنها فارغه! أعدت الصندوق إلى مكانه واتجهت نحو أمي وأخبرتها عن كل ما حدث، وأخبرتني أن سبب ارتباكها أنها ظنت الصندوق قد كسر، وأن اضطرابها كان بسبب أن أبي هو من أهداها هذا الصندوق يوماً، أنا لم أصدق هذا مائةً بالمائه لكن أمي تقدّس كل ما يخص والدي وقت حياته وزاد الأمر بعد وفاته، أخبرت رهف بالأمر كي لا تشغل بالها كثيراً به، وانتهى الموضوع، تقريباً.

.(آدم)

المعلومات التي حصلت عليها اليوم جعلتني أترك مكتبي وعملي وأغادر متجهاً نحو غيث الذي هاتفته أن نلتقي في منزلي، حين وصلت وجدت أنه قد وصل قبلي يجلس في الشرفة بانتظاري، أجل هو يمتلك نسخه من مفتاح المنزل، ذهبت نحوه وجلست أمامه.

أخبرني ما الذي حدث؟ -

غيث، منذ أن عاد حسان هذا في الظهور وأنا أبحث عن أي معلوماتٍ عنه - أنتَ تعرف، ولكن لم أجد شيئاً حتى الأن.

وبعد؟ -

اليوم وصلتني أخبار جديدةٌ عنه، لقد كان مسجوناً لإثنان وعشرون عاماً، - منذ عام ١٩٧٤م حتى عام ١٩٩٦م، لقد كان حكمه مؤبد لكن أحدهم أخرجه، لم تصلني معلوماتٌ عنه سوى أنه شاب كان في السادسة والعشرين من العمر حين أخرج حسان من السجن، والاسم الذي تركه كان مزيفاً؛ لأنني حين بحثت عنه كان اسم عجوزٍ ميت.

كيف هذا! ومن هذا الشاب الجديد؟! يا إلهي هل ينقصني تعقيدات أخرى! - !وكيف لم يتحققوا من هويته وقتها؟

.لا أعرف حقاً، لكن هناك شيءٌ آخر -

ماذا أيضاً؟ -

وجدت نسخٌ قديمه لسجلات دار الأيتام، وتأكدت بأن حسان و والدك كانا - بذاك الميتم منذ طفولتهم حتى الثامنة عشر من عمرهم تبناهم أحد يدعى .عاصي، حين بحثت عنه علمت أنه ميت منذ أعوامٍ كثيره

رأسي سوف ينفجر، إن كان هو وأبي بذات الميتم وبينهم صداقه طويله ما - هذا الكره والغضب الذي يعتمل بداخله ويريد الانتقام مني عن شيء لا !أعلمه؟! ما الذي يريده هذا الحقير

.وقفت أجوب المكان ذهاباً وإياباً بغضب

اجلس يا غيث ودعنى ننتظر حركه جديده أو شيءٌ ما يفعله هذا الحسان علّه - .يكون طرف خيطٍ يوصلنا إليه أو إلى مبتغاه

وإلى متى آدم؟ -

رفع كتفيه كإجابه عن جهله بسؤالي، وهكذا مر الوقت، ننتظر أي حركةٍ يقم بها حسان لكن لا شيء، مر عشرة أيامٍ ولا شيء، وغداً، غداً الزفاف، غداً حفل زفافي، زفافنا أنا وحبيبتي وروحي هديل.

(هديل).

ليقرصني أحدكم، أنا جاده، لا أصدق أنني غداً سوف أتزوج! فقط بضع ساعاتٍ وأزف لحبيبي غيث! يا إلهي.

- آه! ما بكِ أيتها الحمقاء لما قرصتني؟!

- لأفيقكِ من أحلام يقظتكِ يا زوجة أخي، ليس لدينا وقتٌ للسرحان به، اطمئني منذ غدٍ لن تفترقوا.

- رهف أشعر أن الوقت لا يمضي.

- لأنكِ تضيعينه في التفكير، توقفي واتركي نفسكِ لي، إنها حفلة الحناء خاصتكِ يا فتاه عليكِ بالإستماع لا التوتر!

وكيف أحتفل واستمتع وأنا لا أستطيع أن أرى غيثي ولا حتى أن أكلمه - بفضلكِ أيتها الساحره الشريره أنتِ والمشعوذة أختي، ما الذي يعنيه أن تسرقوا هاتفي الجوال وكمبيوتري الخاص؟!

يا حمقاء، نحن نفعل ذلك من أجلكِ أختي الصغيره، نريد أن نجعله يشتاق - إليكِ حتى نرى ونريكِ كم يحبكِ.

- لصوص، لكم أعلم لا دخل لكم أن يكفيني كثيراً يحبني.

دعكِ من الحديث أيتها الثرثاره أريحي فمكِ، ودعي خصركِ يتولى زمام - الأمور، هيا ريما دعي صوت الأغاني يدوي بكل المنزل.

لا أحتاج لوصف ما حدث، تعلمون ليالي الحناء قبل الزفاف للبنات، خطّت أشكال الحناء الرائعة يداي وقدمي، و وضعن لي ريما ورهف ماسك ليرطب وجهي وفعلن المثل لأنفسهن وانقضى اليوم وحلّ صباح يوم عرسي.

(آدم).

أنا متعب، أريد النوم ولو لثلاث ساعاتٍ متواصله، منذ عشرة أيامٍ وأنا بلا نوم، بلا طعام، بلا راحه، هل أنا الذي سوف يتزوج أم غيث! يا إلهي، أنا من

يشرف على آخر تجهيزات بيتهم، أنا من يوصل الفتيات ذهاباً وإياباً للتبضع وشراء ما ينقصهن، أنا من يهتم بأمور قاعة العرس والطعام وحتى تنظيم الأغاني! ما فائدة غيث إذاً؟! يذهب للحلاق ويشتري بذلة الزفاف وينام بالقدر الكافي! آه، ولا نغفل عن تذمره المستمر بسبب عدم تمكنه من رؤية هديل أو التحدث إليها، أتمنى أن ينتهي هذا اليوم سريعاً وعلى خير ومن دون أن أستمع لتذمره على شيءٍ آخر؛ فإن فعل سأقتله وأدخل السجن وعلى وجهي إبتسامة راحه.

الفصل العشرين

.(غيث)

لا أريد أن أكون شاعرياً، لكن صدقوني أنا لا أجد الكلام المناسب لوصف مدى سعادتي بهذا اليوم، هديل، هديلي الجميله، دقائق وتصبح زوجتي، لكم انتظرت هذا اليوم! هديل بالنسبة لي طوق نجاتي، بالمعنى الحرفي ليست مجرد كلمات، منذ وفاة والدي وأنا أصبحت شخصاً آخر، شخص كئيب صعب المراس ذو رأس متحجر و وجه متجهم مع الناس جميعاً عدى أمي وأختي، لكن ظهرت هي، أضاءت عتمتي واقتحمتها بهدوء، تسرب ضوئها إلى ظلامي حتى ما عاد للظلام وجود.

.(قبل أربع سنوات (غيث

مر شهر وأسبوعين وخمسة أيام منذ آخر لقاءٍ مع هديل، رغم عدم وجود كلام بيننا، لكن نظرة عينيها، كأنها طبعت بجفوني، أراها كل يوم، كل ساعه،

لكن هل حوالت الوصول إليها؟ لا، لما! لا أقدر على إقحام أحد في حياتي الفارغه الكئيبه، بالذات هي، رقيقه هي، جميله، لا قدرة لي على جعلها تتواجد بداخل عتمتي الأبديه، أفقت على يدٍ توضع على كتفي.

- غيث ما بك؟

- رهف! ل .. لا شيء، ما الذي جاء بكِ لغرفتي هل تحتاجين شيء؟

- لا لكن كنت سأخبرك أن صديقتي جاءت لزيارتي منذ قليل، إن رغبت في النزول إلى الأسفل إرتدي بنطال وقميص بدلاً من صدرك العاري وهذا الشورت القصير.

- مـ .. من هذه الصديقه؟

- أنتَ تعرفها، هديل.

وخرجت رهف، وتركتني لتعبث بي مشاعري، ما الذي عليّ فعله؟ بالطبع لا شيء، سوف أبقى في الغرفه حتى ترحل، لا أريد رؤية وجهها، الجميل.

(هديل).

منزلهم كان ذا طابعٍ كلاسيكي رائع، ألوان الأثاث والحائط هادئه وتريح النفس، كنت جالسةً في صالة المنزل في الطابق الأول؛ فمنزلهم ذا طابقين، كما أرى وكما أخبرتني رهف، الطابق الأول يحوي المطبخ وحجرة الطعام والصاله وغرفه للضيوف وأيضاً حمام للضيوف، وفي الطابق الثاني توجد غرف أهل البيت، السيده ليلى ورهف، وغيث، غيث، لم أراه بعد آخر لقاء، لم يعد يصطحب رهف ذهاباً أو إياباً من وإلى الجامعه، شخصٌ آخر يأتي بها في بعض الأوقات أخبرتني أنه صديق غيث، يدعى آدم، وفي أغلب الأوقات تأتي بسيارة أجره، ما الذي يشغله يا ترى؟ غاب كثيراً، مر أكثر من شهر ونصف، شهر ونصف لم أرى عينيه الزرقاوتين، عينيه التي لا أعرف ما الذي فعلته بي، منذ أن نظر إليّ يومها وحدث شيءٌ لا أفهمه! أصبح لا يفارق خيالي ولا حتى أحلامي، أستغل الفرص أثناء تواجدي مع رهف لكي أجعلها تتحدث عنه لكن أود أن أعرف المزيد، أريد أن أسمع عنه منه، أن أراه، لكن بدلاً عنه جاءت رهف وجلست لجواري.

- أين اختفيتي؟

- ذهبت أحدث غيث.

- هـ .. هل هو هنا؟

- أجل في غرفته بالأعلى.

غيث هنا، وعلى ذكر الغيث، ها هو أمامي، يا إلهي، هل يجب أن يكون بهذا الجمال؟ حتى وهو بثياب البيت العاديه، حماه الله.

- يا بغيض، ما الذي تفعله هنا؟ هل أعجبك الجلوس هنا الأن! نحن لا نراك إلا على الطعام فقط.

لم يجبها، فقط نظر إليها بطرف عينيه، وحطّ بزرقاوتيه على عيني وانقطعت أنفاسي، بدأ يخطوا نحوي، هل تضيق الدنيا؟ لما أشعر بالإختناق؟! وقف أمامي ومد يده وانساب لمسمعي صوته الرجولي العميق.

- مرحباً، أنا غيث أخ رهف.

- مـ .. مرحباً، أنا هديل.

- تشرفت بلقائك آنسه هديل.

- و .. وأنا أيضاً سيد غيث.

(الوقت الحاضر) هديل.

حسناً أنا الأن أصدق أن اليوم زفافي، غيث لا يتركني لحظه دون أن يحتضني ويقدمني لكل من يلقي السلام علينا بزوجتي هديل! الأجواء رائعه، أحبابنا كلهم هنا، وأنا بين ذراعيّ حبيبي وزوجي غيث.

- غيث؟

أجاب يهمهم مسنداً جبهته على خاصتي نتراقص على أنغام الموسيقى الهادئه للثنائيات بنهاية الحفل.

- أبعد يداك حبيبي فهي تنزلق لأسفل، لقد تجاوزت خصري بقليل الناس حولنا ويرونا! إحفظ أدبك لبعض الوقت.

ضحك ملء فمه ونظر إليّ والإبتسامة الماكره لا تفارق وجهه.

- ما رأيكِ إذاً أن نترك كل شيء ونذهب للمنزل؟ هنالك موضوعٌ هام وخاص جداً أود مناقشتكِ به.

- لو تعرف موضوعي أنا لن يبقى لموضوعك أي أهميه.

- ماذا تقصدين!؟

- لاحقاً.

- هديل ما هو الموضوع ماذا تقصدين!؟

- انتهت الأغنيه هيا نودع الناس.

حبيبي، أشفقت عليه، كان متحمساً للغايه لكن للأسف سيضطر أن ينتظر، ودّعنا الحاضرين جميعاً ولم يتبقى سوى رهف وآدم.

والأن إلى أين سنذهب؟ -

- نذهب!

نعم أخي أين سنتناول الطعام؟ -

- تناولوه أنتم أنا وزوجتي سنتناول طعامنا بالمنزل.

قالها وهو ينظر لي بمكر ونوايا لن يحصل عليها.

- ما رأيكم بمطعم أسماك؟ أمامنا الشاطئ ونستمتع بالهواء الطلق.

- فكره رائعه يا زوجة أخي.

ما هذا اللقب! ليس سيئاً لكن ما به اسمي مجرداً أو يا فنانه كما إعتدت مناداتي يا حضرة الضابط؟ -

- أردت تجربته منذ زمن فقط لكن لم ترق لي، اسمكِ مجرداً أفضل بكثير.

ضحكنا وتركنا الرجلين وتوجهت أنا ورهف لدورة المياه كي نبدل ثيابنا لثياب مريحه أكثر في الحركه واتجهنا نحو المطعم على مضض من غيث، غير مدركين للعيون التي ترصدنا من بعيد.

الفصل الواحد والعشرين

.(آدم)

الطعام رائع، أليس كذلك غيث؟ -

.إخرس -

.ضحكنا جميعاً عدى غيث الغاضب، إقتربت منه مخفضاً صوتي

أستطيع أن انقذك منّا بشرط أن تترك رهف لي وسوف أعيدها للمنزل -
بنفسي، ما رأيك؟

.لو كنّا في ظرفٍ آخر كنت قتلتك آدم تعلم ذلك، لكن أرجوك ارحلوا -

إذاً جميعاً، إعذروني سوف أسرق رهف منكم الأن، هيا حبيبتي دعينا نذهب -
.سوياً ونترك الزوجين الجدد وحدهم

.وأنا أيضاً من رأيك حبيبي -

.أخذت كفّها بكفي ودنوت من غيث بابتسامةٍ ماكره

اليوم يومك يا عريس، إرفع رأسي، وقريباً سيحين يومي وأرفع رأسك - عالياً.

- أنا من سيقطع رأسك أيها الحقير، إذهب قبل أن أدفنك مكانك.

ضحكت و ودعت هديل واتجهت نحو سيارتي وتحركنا أنا ورهف نحو أحد الحدائق العامه وجلسنا في بقعةٍ هادئه نتحدث عن الزفاف وكمّ الشقاء الذي أهلكنا الأيام الفائته.

- سأذهب لشراء المثلجات وأعود يا حبيبتي.

- لحظه آدم، بمناسبة المثلجات، أخبرني الحقيقه كيف عرفت نكهتي المفضله؟

- لا يفوقتكِ شيء، في الحقيقه أنا أعرف أشياء كثيرةٌ عنكِ، بعضها من غيث وهديل و والدتك، والباقين اجتهادٌ شخصي، أراقبكِ بمعناً أدق.

- إلى أي مدى تقصد أنك تراقبني؟

- أنا ضابط شرطه حبيبتي، أظن أن هذا يكفي لإعلامكِ إلى أي مدى.

(رهف).

ذهب آدم لشراء المثلجات، وبقيت أطالع الورود من حولي في انتظاره، فجأه أحسست بأحدٍ خلفي وحين هممت للإلتفات لا أعرف كيف أظلمت الدنيا! حاولت الصراخ لكن قطعة المنديل ذات الرائحه الغريبه ويد الشخص القويه التي تحط على فمي منعتني، ولم أعد أعي شيء، وآخر ما رأيت كان آدم الذي يهرول نحوي من بعيد.

أشعر بصداع يفتك رأسي، حاولت إمساك رأسي بيدي لكن لم أستطع! وحين حاولت فتح عيني آلمتني من ضوء الشمس المسلّط عليّ من النافذة أمامي، شيئاً فشيئاً إعتدت على النور وفتحت عيني كاملاً، وأدركت الحال الذي أنا عليه، نائمةٌ على فراش قديم في غرفه تناهزه القدم، غرفه لا تحوي سوى الفراش وكرسيّ متهالك، لم يكن في الغرفة سواي، حاولت الإعتدال لكن لم أستطع وصدر عن حركتي صريرٌ من خشب الفراش القديم، على إثر الصوت انفتح الباب.

وأخيراً استيقظت الأميره النائمه، أراكِ تحاولين الجلوس لكن يعيقكِ قيد يديكِ، إنتظري سوف أساعدكِ.

إبعتد عني إياك ولمسي، من أنتَ؟ ما الذي تريده مني؟ -

لم أكن أعرف أنكِ حادة الطباع يا ابنة طارق.-

من أنتَ؟ كيف تعرف أبي؟ -

يشعرني بالحزن أن صديق طفولتي العزيز طارق لم يحدّث عائلته يوماً عن - ماضيه وعني، ألم تتسائلي يوماً كيف قضى والدكِ حياته قبل زواجه من والدتك؟

.كان يعيش وحيداً بعد موت جدّي وجدتي -

ضحك العجوز ملء فمه دون توقف! بقيت اناظره أحاول تذكّره لكن لا أعرفه لم أراه في حياتي قط.

أنهم يبقونكِ غافلةً عن الحقيقه، لكن ذهب حذرهم سداً، يا صغيرتي التي - تظن أباها من أبطال السينيما، أباكِ لم يخبركم الحقيقة أبداً، الشيء الصادق الوحيد الذي أخبركم به أن أبويه موتى، لكن ليس وهو شابٌ يافع، بل وهو طفلٌ رضيع، وجدوه بقرب سيارةٍ إلتهمتها النيران وبداخلها رجل وإمرأه وهما جدّاك، وكان مصير الطفل تركه في ميتم يتكفّل بتربيته، وهناك إلتقينا أنا وهو، كنّا خير صديقين، وحين جاء أحدهم ليتبنى من الميتم أخذنا سوياً، وعشنا حياةً رائعه لعامين، فقط لعامين، ومن بعدها تغير كل شيء، لا داعٍ لذكر ما حدث الأن، لكن والدكِ لم يكن وفياً لصداقتنا، خانني، تركني ألقى مصيري الموحش وحدي؛ ليبني هو حياته السعيده مع والدتكِ ويأتي للدنيا

بغيث العريس، ورهف الصغيره التي تحب صديق أخاها، أرجوا أن تكوني لبقةً أكثر من أخيكِ وتدعوني لزفافكِ.

وتركني وغادر! وسمعت صوت إنغلاق الباب بالمفتاح، أنا لا أصدق! من المؤكد أنه كاذب، لكن .. لكن كيف يعرفنا جميعاً؟! كيف يعرف بزفاف غيث وما بيني وبين آدم! كيف يعرف أبي؟ أين أنتَ آدم؟

(غيث).

لا تسئلوني عن حالي، أنا أشتعل غيظاً، كيف! كيف تفعل ذلك! لقد فعلتها قصداً أنا متأكد، لكن أين سوف تذهب؟ أيام، فقط الصبر لأيام وبعدها يكون العقاب، لكن يكفيني أن أستيقظ وأرى ملاكي النائم لجواري الأن، حماها الخالق من عيني قبل عيون البشر أجمعين، نهضت بهدوء كي لا أوقظها لكن إتضح أن حبيبتي سريعة الاستيقاظ.

- غيث! إلى أين؟

- كنت سأعد لكِ الفطور.

- خيراً تفعل فأنا لازلت أريد النوم.

!يالكِ من زوجةٍ صالحه -

ألقت قبله في الهواء واستدارت للجهة الأخرى وأكملت نوم! أخذت هاتفي من فوق المنضده قرب الفراش واتجهت نحو المطبخ، فتحت الجوال الذي كنت اغلقته أمس كي لا تزعجني رهف وآدم، أخرجت محتويات الفطور من الثلاجة وعدت للهاتف وللعجب لم أرى رسائل من رهف! غريب، لكن هنالك رساله وحيده من آدم.

غيث، أخي، لا أعرف ما الذي عليّ قوله، لكن حين ترى الهاتف حدّثني "
" لأمرٍ عاجل

ومن فوري اتصلت عليه.

" آدم، ما الأمر؟ "

" غيث، أنا حقاً كنت سأقوم بحل الأمر وحدي لكن "

" آدم ماذا هناك؟ "

" رهف "

" !ما بها رهف؟ "

" اختطفت "

الفصل الثاني والعشرين

.(غيث)

" !ما الذي تقوله آدم؟! لقد كانت معك البارحه "

صدقني لا أعرف ما الذي حدث، كنّا نجلس في الحديقه وذهبت لجلب " المثلجات من محل في الشارع المقابل، وأنا أدفع ثمن الأغراض نظرت عبر زجاج المحل نحوها ورأيت رجلاً يقف خلفها يضع يده على فمها، تركت كل شيء وهرولت نحوها لكن الرجل كان أسرع وأدخلها سياره ورحل، لم " أستطع اللحاق به

" وكيف تتركها وحدها؟! أخبرني أنك حصلت على رقم السياره "

" فعلت "

" أنا قادمٌ إلى مركز الشرطه "

غيث ماذا هناك؟ -

- هديل أنا عليّ الذهاب.

- ما الذي حدث؟

- رهف اختطفت، أنا عليّ لقاء آدم الأن، أرجوكِ إرتدي ثيابكِ لأوصلكِ لأمي وانتظروا خبراً مني.

- يا إلهي، حـ .. حسناً.

(حسان).

- أين هو الأن؟

- في مركز الشرطه سيدي، قام بتوصيل هديل إلى منزل والدته واتجه نحو مكتب آدم.

- جيد، أعطني الهاتف.

- تفصل سيدي.

" من معي؟ "

لم أكن أعرف أن أختك حادة الطباع وعنيده هكذا، انتظرت بكاء وعويل "
" لكن خاب أملي

أيها الحقير، أين رهف؟ ما الذي فعلته بها؟ إياك ولمس شعرةً منها وإلا "
" قتلتك بيدي

لا تنفعل هكذا أيها الشاب، أنا لن أفعل لها شيء، ما أريده هو أنتَ، سوف "
أرسل لك العنوان، ولست بحاجةٍ أن أخبرك أن تأتي بمفردك دون جلبه، فقط
" يمكنك اصطحاب آدم، كي يوصل رهف لأحضان ليلى بأمان

.(غيث)

ماذا قال هذا الرجل لك؟ -

.انتظرت أن تصل لي رساله بالعنوان المطلوب ولم أطل الإنتظار

.علينا الذهاب لهذا المكان حالاً آدم، فقط أنا وأنتَ، لا أريد أي أحد -

.لكن -

.دون لكن، هذا الأمر هو حياة رهف لا يمكنني أن أغامر -

- حسناً.

توجهنا نحو سيارة آدم وتحركنا نحو العنوان، استغرق الطريق قرابة الساعة والنصف، طريقٌ فارغ من البشر وأي كائنٍ حي، طريق بوسط الصحراء الجرداء، حين وصلنا وتوقف آدم كان أمامنا ثلاث سيارات سوداء ورجال كالثيران يقفون أمام السيارة التي بالمنتصف.

- تفكر بما أفكر به؟

- سوف يأخذونني مكانها، آدم، أريد منك أخذ رهف والذهاب فوراً.

- وأنتَ غيث كيف أتركك وأرحل هكذا؟!

- عليك فعل ذلك، هو يريدني أنا، رهف مجرد طعم وتهديد بسيط أنه يستطيع فعل أي شيء للحصول على ما يريد، لا تتحرك من قربي ولا تفعل أي شيء خاطئ آدم فكر بسلامة رهف، أنا أستطيع تولي أمر نفسي، هيا بنا.

هبطنا من السيارة كلانا، سرنا نحوهم وإقترب منّا أربع رجال إثنين قاموا بتفتيشنا وإثنين يقفون متأهبين، لم يجدوا بحوذتي شيء وآدم أيضاً؛ فأنا كنت قد أخبرته أن يترك سلاحه مسبقاً، حين أعلن أحد الثيران بصوتٍ جهوري أننا نظيفين انفتح باب السياره، أطلت رهف تجلس لجوار الحقير حسان.

- هل أنتِ بخير؟

- نعم أخي لا تقلق.

- ها أنا قد أتيت، أعطني أختي وتعامل معي رجلاً لرجل لا تقحم النساء في الأمر.

نهّق الحمار ضاحكاً من ثم أمر أحد رجاله بأخذ رهف وإيصالها إلينا، تحدثت لآدم بصوتٍ منخفض.

- ما أن تأتي خذها وإرحل فوراً ولا تستجب لإعتراضها، أخبرها أنني سوف ألحق بكم على بيت والدتي، وإبقى معهم آدم وأحرص المنزل.

- كن مطمئناً يا أخي.

وصلت رهف وضممتها لصدري أطمئن عليها أن لا أذى قد أصابها.

- أنا آسف.

- أنتَ لم تفعل شيء يا أخي، غلطتكم الوحيده هي إبقائي جاهلةً عن كل ما يحدث من حولي، وعن الماضي المزعوم الذي أخبرني به هذا الرجل، أريد عدم تصديقه لكن شيءٌ بداخلي يخبرني أنه يقول الحقيقه.

- سأخبركِ كل شيء لاحقاً يا حبيبتي، لنا كلامٌ آخر مع والدتي، هيا آدم.

أخذها آدم رغم اعتراضها لكن نظرة عيني جلعتها ترضخ وتصمت، ركب الاثنان السيارة وغادرا بأمان، استودعتكم الله.

قادني الرجلين لجواري نحو السيارة الأخيره، لم يكن حسان بها، ما أن جلست حتى شعرت بمقبض السلاح يحط على مؤخرة رأسي ولم أعد أرى أو أسمع شيء.

الفصل الثالث والعشرين

.(غيث)

أفقت لأرى نفسي جالساً على كرسيّ أقدامي مقيده بالحبال في أقدامه ويداي خلف ظهري مقيدةٌ أيضاً، وحسان يجلس أمامي.

ما الذي تريده من عائلتي؟ ما الذي حدث بينك وبين أبي وتفرغه بنا؟ -

أنتَ تشبهه للغايه، دعني أروي لك حكايه من الماضي أيها الشاب. -

.(قبل ثلاثين عاماً (حسان

أنا أريد التوقف. -

ماذا! -

لا أستطيع الإكمال في هذا. -

ما الذي تقوله يا طارق! هل تمزح! بعد كل ما خاطرنا به ومن أجله وما - حصلنا عليه تود الإنسحاب! لا يمكنك نحن شركاء إن انسحبت أضعتني معك، ليس لك الحق في الفرار.

لا أقدر، لا يمكنني أن أكمل، أنا أحب ليلى لا أستطيع أن أبني معها حياتي - وأنا ملوثٌ في هذا المستنقع القذر، لا أريد أن أطعمها من حرام، لا أستطيع أمسكته من مقدمة ثيابه أصرخ فيه بجنون لم أكن به قبلاً.

طارق، أفق، نحن وقعنا في هذا المستنقع سوياً منذ الصغر لا يمكنك أن - تتركني، ليس لك الحق في ذلك.

اتركني -.

وبدأ الشجار، إن أسقطني أرضاً مسدداً لي لكماته ازحته عني وأبدأ أنا بلكماتي القاسيه لتفوقي عليه في البنية الجسديه، لكن لم أعرف متى حمل بين يديه تلك العصا الحديده وهبط بها فوق رأسي، لكنني حين عدت لوعي كنت بإحدى المستشفيات وبيدي الأصفاد وبعد أن تعافيت أخذت للمحكمه ونطق القاضي: حسان منصور، حكم بالسجن المؤبد.

في الوقت الحالي (حسان).

لن أقول أني الضحيه فما جنته يداي لا يعد ولا يحصى، لكنني لم أكن وحدي - من يأكل الحرام، قضيت بالسجن إثنان وعشرون عاماً، إثنان وعشرون عاماً من العقاب على ما إقترفت وما إقترفته يد والدك، صديقي العزيز، مرةً ابتدأ أنا الشجار وينتهي بي الأمر بالانفراديه ومرةً يتّحدون ضدي وينتهي بي الأمر بالمشفى مطعونا أو مكسور العظام، حتى أخرجت أخيراً دون أن أعرف كيف، خرجت لأجد شاباً لوثته الحياة بمقداري وشدت عوده قبل الأوان، هو من أخرجني، وبعد أن كنت أتّبع أمر من هم فوقي، أصبحت أنا المتحكم في كل شيء، أصبحت أملك من المال ما يكفيني ويكفي أجيالاً بعدي، ومن السلطة ما يأهلني برفعة إصبع وإشارة عين أن أهدم شركات وأزهق أرواح من أذاني، وفعلت، والدك كان أول ضحاياي.

- أيها الحقير.

- هدء من روعك، أغلقوا فمه، لا أود أن يقاطعني؛ فلقد وصلنا لأهم جزء.

- راقبت والدك لأيام، ورأيت ما آلت عليه الأمور معه، كيف صار صاحب أشهر شركات الإستيراد، وكيف بنى أسرته المحبه، رأيتكم معاً بأحد نزهاتكم كيف تستمتعون بحياتكم على حساب معاناتي وإهدار أكثر من عقدين من عمري، رأيتك شاباً يافعاً حديث التخرج يتجهز لبدأ العمل مع أبيه بشركتهم،

وزوجه وفتاه وأسره متكامله سعيده ليس لها علمٌ عن ماضي أبيهم وما إقترفته يداه، فما كان مني إلا أن قابلته بأحد الأيام.

(قبل ثلاثين عاماً) حسان.

كان عائداً من الشركة نحو المنزل فقطعت طريقه، أرسلت رجلين جلبوه لسيارتي، حين رآني وكأن عقرباً لدغه، تغير لون وجه وتلعثم، وأقسم أن بعض حبات العرق على جبينه بدأت تتجمع.

- إهدء يا طارق ما بك! أهكذا تقابل صديقك بعد غياب ثلاثين عاماً؟

- أنتَ .. أنتَ كيف.

- كيف خرجت أليس كذلك؟ أفضل الاحتفاظ بالإجابة لنفسي المهم أنني هنا الأن.

أرخيت ظهري على الكرسيّ واضعاً قدماً فوق الأخرى أمسك بيدي إحدى السجائر الفاخرة أدخن منها وأنفث الهواء بوجهه الذي لم أزح عيناي عنه.

هل رأيت يا صديقي ما آلت الأمور عليه معي، أصبحت أنا المتحكم بعد ما - كنت عليه في الصغر، وأنتَ أيضاً، تغيرت حياتك للأفضل يا طارق، صار إبنك يضاهيك طولاً، ماذا كان اسمه؟ آه، غيث.

- إترك عائلتي وشئنها.

- الأن ظهر لك صوت! لا يصح في مهنتنا أن تظهر نقطة ضعفك يا طارق، هل نسيت؟!

- أنا لست منكم، أنا تركتكم منذ زمنٍ بعيد ولم أعد لهذا الطريق مجدداً.

- أجل، تركتنا منذ أن أغشيتني لأفيق بالمشفى مكبلاً وبعدها محكوماً بالمؤبد فظننت أنك تخلصت مني وارتحت، لكن أنظر لسخرية القدر، ها أنا ذا عدت، ما الذي ستفعله؟

- حسان، لا دخل لك بعائلتي، حسابك معي أنا.

- عيبٌ عليك، ألا تعرف صديقك! أنا آخذ حقي ممن آذاني أولاً من ثم أقرص أذن من حوله كي يتعلموا الدرس ولا يكرروا خطأ الآخرين.

- حسان، أترك عائلتي حسابك معي أنا.

- ألقوه خارجاً، عد لعائلتك يا صديقي، إشبع منهم قدر ما تستطيع.

الفصل الرابع والعشرين

.(آدم)

كيف تتركه وترحل آدم؟ كيف تفعل ذلك؟ -

هديل، افهميني أرجوكِ، لم نستطع أن نغامر بفعل أي شيء ورهف معنا، - .كان علينا التأكد من وصولها سالمةً إلى هنا، لم أكن لأتركه لكن هو من أصر

ظلّت تجوب الغرفة ذهاباً وإياباً بتوتر وقلق، معها كامل الحق في الغضب .مني، لكن لم يكن بيدي شيءٌ أفعله غير ذلك

وماذا عن أرقام السيارات؟ لم لا تذهب للمركز وتحاول الوصول إلى - أماكنهم؟

بالفعل أعطيت الأرقام لأحد معارفي للإستعلام عنهم لكن كما توقعت كانت - .جميعها مزيفه

!وما العمل الأن هل سنقف مكتوفي الأيدي هكذا؟ -

" بعد ساعةٍ من الأن سوف تجد صديقك في هذا العنوان "

.أنا عليّ الذهاب -

إلى أين؟ ماذا يوجد في الرساله التي وصلتك؟ -

.مكان غيث، سوف أذهب لإحضاره -

.سآتي معك -

لا هديل، أنتِ سوف تبقين هنا لجوار رهف وأمي ليلى ولن تخرج إحداكن من المنزل، ولا تقلقوا أنتم بأمان، وضعت رجلين من الشرطه أمام المنزل لضمان سلامتكم، لن أعود إلا وغيث معي، ولا تخبري أحداً أني ذهبت، دعي رهف نائمةً إثر حبة المنوم التي أخذتها وأمي ليلى لا تدعيها تفارقها بحجة إن استيقظت فجأةً لا تفزع.

.دع الأمر لي، إذهب أنتَ ولا تعد إلا وغيث معك آدم -

.(غيث)

ما الذي تريده مني الأن؟ لما تحوم حول عائلتي؟ من آذاك قد قتلته، ما الذي تريده؟ -

يبدو أنك لم تستمع لآخر الحكايه ولم تفهم، أنا لم أقتل أباك، هو من كان جباناً - وسائقاً غير محترف أدى لوفاة نفسه بنفسه، ما فعلت شيئاً سوى تهديد بسيط لم يسعني الوقت لتنفيذه، وإن مات الجاني فنجله ينعم بالحياة، وأنتَ تشبهه جداً، لا مانع من قرصة أذن كي لا تسير على خطاه.

- أنتَ مريض.

بإشارة من يده كان أربع رجال يلكموننني بأيديهم وأرجلهم دون هواده، مكبل لا أستطيع الحراك والتصدي لهجماتهم، لا أعرف كم من الوقت مر دقيقه أو إثنتان لكنها كانت كافيه لتشويه وجهي بالدماء وجسدي بالكدمات.

- توقفوا، خذوه وألقوه على الطريق في هذا العنوان.

فكوا وثاقي وحملوني دون أن أقوى على الحراك نحو إحدى السيارات وتحركوا، كل جزءٍ من جسدي يئن ألماً، ربطوا قطعة قماش على عيني كي لا أرى الطريق الذي يسيرون فيه، وبعد مرور بعض الوقت توقفت السياره وفتحوا عيني وألقوني خارجاً ورحلوا، زحفت قليلاً حتى أبتعدت عن الطريق وانتظرت، إلى أن سمعت صرير عجلات سيارةٍ كانت مسرعه وتوقفت على مقربه، ورأيت آدم يهرول نحوي.

- غيث! أخي هل أنتَ بخير؟

!هل أنتَ أعمى ألا ترى كيف حالي! أين الخير بي؟ -

هل تستطيع الوقوف؟ -

.لا أظن ذلك، خذني للمشفى -

أيها الملاعين، ألم تستطع حفظ الطريق أو أي شيء يدلنا على مكانه؟ -

في الذهاب كنت مغيباً وفي المجيء ربطوا قماشه على عيني لم أستطع - رؤية شيء، رهف بخير؟ هديل؟

.كلهم بخير يا أخي ينتظروك على أحر من الجمر، تعال إستند عليّ -

ساعدني على النهوض وسرت مستنداً عليه وبمعنى أدق كان يحملني حتى السياره وحين وصلنا للمشفى حملني على ظهره حتى الداخل، حضر الطبيب وسمعته يخبر الممرضه بوضع حقنة مهدئ في المصل الذي علقوه لي حين دخولي ودخلت في ثباتٍ جميل، حلمت فيه بأبي، كان يناظرني ويداه ملوثه .يحاول إخفائها خلف ظهره، يطالعني بنظرة مذنب، يعرب عن أسفه

أسمع همهمات من حولي، أحاول فتح عيني لكن الضوء الأبيض جعلني أغلقها مسرعاً، حاولت وضع يدي على وجهي لكن صدر عني أنين ألم ولم أستطع تحريكها، وشعرت بالفراش الذي استلقي عليه يهبط قليلاً وبيدٍ تمسح .على شعري

حبيبي، هل أنتَ بخير؟ أغلق الأضواء آدم كي تعتاد عينيه على ضوء - الغرفة أولاً.

- علم وينفذ.

- إفتح عينيك حبيبي.

بعد محاولتين أو ثلاث استطعت فتح عيني بالكامل واعتدت ضوء الغرفة البرتقالي إثر مغيب الشمس، نظرت في كامل الغرفه ولم يكن سواي وهديل الجالسة لجواري وآدم الواقف بجانبها.

- رهف وأمي في المنزل، لم توافق أمي على خروج رهف وبقيت لجوارها.

- جيد، ولما أتيتي أنتِ؟

- هل تعتقد أنني كنت سأنتظر مكتوفة اليدين حتى يجلبك آدم؟

- لا.

- إذاً لما السؤال؟

- أعتذر من سعادتكِ، ما الذي حصل لي؟

هل تسأل حقاً! ما الذي فعلوه بك أخبرني؟ بعيداً عن الكدمات التي تملأ - وجهك وجسدك لديك كسرٌ في ذراعك الأيسر وبعض الرضوض في قفصك الصدري.

!لم ترهم آدم، كانوا كالبغال، ماذا يطعمونهم هؤلاء؟ -

ضحكنا أنا وآدم لكن نظرة الإستياء على وجه هديل جعلتني أبتلع مزاحي وارسم إبتسامةً بلهاء، وجدت آدم يقترب مني ويخفض صوته الذي سمعته هديل بكل وضوح.

طمئني، هل لازلت تستطيع الإنجاب؟ -

أغرب عن وجهي آدم، آه، حقير -.

لا تنفعل يا أخي العزيز قد تسوء حالتك -.

آدم -.

حسناً سأذهب لإحضار رهف وأمي ليلى واترككم قليلاً سوياً، لا تغامر بفعل - شيء الغرفة مراقبه.

ألقيت عليه الوسادة بذراعي اليمنى السليمه لكن حركتي المنفعله أدت لصراخ ألمٍ في كامل جسدي، تسارعت أنفاسي قليلاً أحاول تحمل الألم حتى يهدأ مغمض العينين، وحين فتحتها وجدت هديل تناظرني بنظرةٍ ماكره.

!ماذا هناك لماذا تنظرين لي هكذا؟ -

أرح قلبي غيث، هل أنتَ على ما يرام؟ -

!أجل! لما تكرار السؤال؟ -

.لأنني في الحقيقة أريد أطفال أردت التأكد مـ -

.هديل أغربي عن وجهي، إلحقي بآدم -

.لا تغضب أنا أمزح -

أنا لازلت غاضباً منك من ليلة أمس لا تظني أنني سامحتك، كيف تفعلين -
!هذا بي؟

أنظر لتقدير الله أصبحت غير قادرٍ على الحراك كي لا تلقي اللوم عليّ -
.وحدي، إسترح المجهود خطرٌ عليك

.أين ستذهبين مني؟ فقط الصبر -

الفصل الخامس والعشرين

.(غيث)

في المساء حضر آدم ومعه رهف وأمي، وطبعاً لم يخلوا اللقاء من الأحضان الطويلة والبكاء، لكن لحسن الحظ أن آدم موجود، ليس فقط في الغرفة بل في حياتنا، قام بالمزاح قليلاً وغير الأجواء الكئيبه، لم أستطع أن لا ألقي على أمي نظرات العتاب على مدار وقت زيارتهم ولم يخفى عنّي نظرة الحزن والندم في عينيها، لكنني أجّلت العتاب لوقتٍ لاحق، لم يكن يسمح ببقاء أحدٍ معي سوى شخصٍ واحد وبالطبع ستكون زوجتي الحبيبه هديل.

كان سرير المشفى الذي أنام عليه واسعٌ قليلاً فنامت لجواري تلك الليله، وفي اليوم التالي قررت إكمال فترة شفائي في منزلنا، وبعد نقاشٍ واعتراض من الطبيب والجميع رأيي أنا الذي تم تنفيذه، وها أنا في منزلي وداخل فراشي أنتظر طعام الفطور من يد زوجتي الجميله، لقد مر أسبوعين منذ ذلك اليوم، لقد شفيت أغلب الكدمات على وجهي وجسدي، يدي لاتزال تطوقها الجبيرة

لكن الطبيب أخبرنا أنه يمكنني إزالتها بعد أسبوعين، وإلى الأن لم نسمع شيء عن حسان.

بطبيعة الحال أنا لا أغادر المنزل فقلبي مطمئنٌ على أمان هديل معي، أما عن أمي ورهف فآدم قد عيّن رجال من الشرطة يعملون تحت إمرته أن يتناوبون على حراستهم، وهو يذهب إليهم في الأسبوع مرتين أو أكثر للإطمئنان عليهم ومعرفة إن كانوا يحتاجون إلى شيء.

- صباح الخير حبيبي، أعدت لك الفطور.

- صباح الخير حبيبتي، سلمت يداكِ يبدوا رائعاً.

جلست لجواري واضعةً طاولة الطعام على الفراش في المنتصف وشرعنا في تناوله، بعد أن انتهينا حملت هديل الطاولة نحو المطبخ لغسل الأطباق وفي حينها اتجهت أنا نحو دورة المياه للاستحمام، بعد أن انتهيت واتجهت نحو الغرفة وجدتها تجلس أمام طاولة الزينه تنظر للمرآة وتمشط شعرها الذي أعشقه، إقتربت منها وقبّلت عنقها ناظراً إلى عينيها من خلال المرآة.

- هديل، أريد أن أحدثكِ في موضوع شيقٌ جداً كنّا قد أجلناه سابقاً قهراً.

- إذهب واستلقي على الفراش واسترح أنتَ متعب ولا قدرة لك على الحراك يا حبيبي.

أخبرتني ذلك وهي تقف تنظر إليّ وما أن أنهت كلامها حتى همّت في الذهاب لكنني طوقتها بذارعي اليمنى السليمه.

- لم يعد هنالك حجةٌ للانتظار، حان وقت العقاب.

(بعد أسبوعين (ليلى.

الكل مجتمعين حولي، لقد حضر آدم ومعه غيث وهديل بعد أن أخذهم إلى الطبيب كي يزيل غيث الجبيرة عن يده وعاد بهم هنا، غيث أصبح في أفضل حال، زالت آثار الكدمات وأصبح بخير، لازال غاضباً مني، أعلم ذلك، ورهف أيضاً، لكن لم يكن في يدي حلٌ آخر.

- أمي، تعلمين أنه علينا التحدث، وبعد أن انكشف أغلبية الأمر من حقنا أن نعلم الموضوع بأكمله منكِ.

- نعم أمي، كلنا من حقنا أن نعرف لما أخفيتي عنّا حقيقة ماضي أبي؟ لما كذبتم؟ عليكِ أن تخبرينا الحقيقه.

أخبرتهم الحقيقة كامله، ذهبت نحو غرفتي وعدت برسالة طارق الذي أخبرني فيها عن كل شيء، وأكدت لغيث ما رواه حسان له.

وما العمل الأن؟ ما الذي يريده منّا هذا الرجل بعد إذاً! أبي وتسبب في وفاته - وانتهى الأمر، لما اختطفني ولما يهددك يا أخي؟

لا أعرف، أنا لا أظنه شخصاً في كامل قواه العقيله، هو ينتقم منّا عن ما - عاناه إثر ما فعله به والدي، لكن يجب أن أضع حداً لهذا الأمر، أنا لن أدعه يؤذي عائلتي.

غيث بني، أنا لا أريد أن اخسرك كما خسرت أبيك، حبيبي أترك الأمر - برمته، لا تفعل شيء، لا تسعى وراء المشاكل يا بني، فكر بنا، فكر بزوجتك يا حبيبي، لا تقدم على شيءٍ قد تندم عليه.

وهل أقف مكتوف الأيدي أراه يؤذيني في من أحب؟ مستحيل، وانتهى - النقاش.

يا إلهي احفظ لي أبنائي، احفظهم جميعاً لي، لن أقدر على تحمل خسارةٍ أخرى.

(حسان).

مر وقتٌ طويل منذ آخر لقاءٍ لي مع غيث، أظن أني أطلت كثيراً فها هم يعطون لأنفسهم الحق كي يستمتعوا، اليوم خطبة الضابط آدم على أخت صديقه، كلهم مجتمعين في منزل طارق، لن يكون اسمي حسان إن لم أقلب أفراحهم حزن كمان انقلبت حياتي رأساً على عقب، إن لم أحصل على السعادة لن يحصل عليها أحد.

- عمر.

ثوانٍ وجاء ذاك اليافع المغفل الذي يظن أنه يمكنه أن يصبح مثلي يوماً! ليس كل من بنى عضلات في أنحاء جسده وتعلم التصويب بالسلاح يستطيع أن يكون حسان!

- خذ بعض الرجال واذهب نحو منزل طارق، أريدكم أن تنتظروا أكثر لحظاتهم سعادةً وتطلقوا النيران، ليس على وجهةٍ محدده بل في أماكن متفرقه، لكن إياكم، أكرر، إياكم أن يصيب أحدهم مكروه، أنا لا أريد دماً، فقط اخافتهم تكفيني إلى الأن.

- لكن سيدي هناك الكثير من الأشخاص.

- إفعل ما آمرك به أيها الغبي دون أن تناقشني.

- أ .. أمرك سيدي.

.(هديل)

كل شيءٍ رائع، أنا حقاً سعيدةٌ جداً من أجل رهف، لقد عانت لسنين من ذلك الحب لكن وأخيراً يسعدها القدر باجتماعها بحبيبها.

ما الذي سرحت فيه زوجتي الجميله؟ -

كم هم رائعين معاً أليس كذلك؟ -

الحق يقال نعم، لكنني إلى الأن لا أتقبل أن أحداً يأخذ رهف مني ولا حتى - صديقي المقرب.

وما المشكله، أنا معك -.

هل ترانا نتركهم ونكمل موضعنا الشيق في المنزل؟ -

في أحلامك، هيا لنرقص كما يفعل الجميع -.

أمركِ مجاب سيدتي الجميله -.

توجهنا نحو منتصف حديقة المنزل نشارك الجميع الرقص سعداء، لكن اخترق صوت الأغاني طلقاتٍ ناريه متعدده لا تخفيها صرخات النساء، الكل

انحنى أرضاً يصرخ، أرى آدم يطوق رهف وأمي ليلى بين ذراعيه جاثياً أرضاً، وأنا بين أحضان غيث يحميني من تلك الطلقات الطائشه، دامت الأصوات لأقل من دقيقه وبعدها صمت كل شيء، لا نسمع شيء، وقف آدم وغيث بحذرٍ يلقون نظرةً على المكان من حولنا حتى اطمئنوا أن إطلاق النيران توقفت تماماً، الكل ينظر للآخر يطمئن على حاله، كنت أفتش بعيني على عائلتي حين دوى صوت أمي في المكان بصرخةٍ مجلجله.

- ريما!!

الفصل السادس والعشرين

.(هديل)

لا! لا هذه ليست حقيقه! ريما! اختي انا! ملقاةٌ على الأرض مغمضة العينين وفستانها الأزرق ملطخاً بالدماء! الدماء تملأ صدرها، لا، هذا ليس حقيقياً، جثوت قربها أمسك وجهها بكفاي ولا أقدر على الرؤية بوضوح من دموعي التي لا تتوقف ولا أستطيع سماع شيءٍ غير عويل أمي وصوت ضرب يديها على وجهها وأقدامها.

- ريما .. إ .. إفتحي عينيكِ أختي .. ر .. ريما.

- ابنتي، ليفعل أحدكم شيئاً.

- الإسعاف .. غيث .. غيث الإسعاف.

لا أعرف كيف ومتى جاءت سيارة الاسعاف! حملوا أختي على الفراش المتنقل وادخلوها السياره، أمي لجوارها وأبي وأنا ذهبت مع غيث ورهف

وآدم في سيارته، ما الذي حدث! كيف حدث ذلك لا أعرف! لا أعرف، أختي، أختي أصيبت بطلقةٍ ناريه!

أفقت من غفلتي حين توقفت السياره، اندفعت خارجها أركض نحو بوابة المشفى أسير خلف عويل أمي إلى أن وجدتها.

- أ .. أين .. أين هي؟ أين ريما؟

- أدخلوها غرفة العمليات.

- أبي .. أبي ريما؟!

ضمني أبي لصدره يذرف الدموع بصمت، لطالما كان أبي صلباً لا يظهر ضعفه أمام أحد أو حتى نفسه، في حياتي لم أراه يبكي يوماً، ولم أشعر بذلك الألم أبداً.

(غيث).

لا أصدق! لا أدري ما حدث! كل شيءٍ كان جيداً، الكل كانوا سعداء، لا أصدق، وكضربةٍ على رأسي جاءت في عقلي صورة حسان، نظرت حولي

إلى أن وقعت عيناي الجاحظة على آدم، أخذته من ذراعه إلى مكانٍ يبعد عن الجميع أتحدث إليه بصوتٍ منخفض.

- أنه هو، هو من فعل ذلك آدم.

- من المؤكد هو، لكن كيف! كيف تصل به الوحشية لفعل شيءٍ كهذا؟!

- علينا أن نجده، آدم علينا أن نعثر عليه فوراً.

- رجالي يطوقون المنزل يبحثون عن أي أثرٍ للذين فعلوا هذا.

- لا يكفي، هذا لا يكفي آدم أنا أريد هذا الرجل أن يكون خلف القضبان، ريما في الداخل بسببي.

- ليس ذنبك ما حدث يا أخي لا تلقي اللوم على نفسك، إياك وأن تشعر نفسك بالذنب أنتَ لم تقترف أي ذنب.

- لكن.

- بدون لكن غيث، الذنب ليس ذنبك، أنتَ لم تكن تعلم أنه يمكنه أن يقدم على فعل شيءٍ كهذا.

- ما الذي عليّ فعله؟

- إبقى لجوار هديل، هي بحاجةٍ إليك الأن.

نظرت نحوها، تجلس على أحد الكراسي تبكي بحرقه، وكأنها شعرت بنظرتي فالتفتت نحوي، لكنني لم أقوى على النظر إليها، أبعدت أنظاري عنها وتركت آدم غير آبهٍ بندائه، ما أن خرجت حتى بحثت عن كرسيٍّ وجلست عليه أحاول جمع أنفاسي إلى أن شعرت بجلوس أحدٍ لجواري، لم يكن سواها، ضمتني بين ذراعيها من تقرأني ككتابٍ مفتوح تمسح على شعري.

- ليس ذنبك، أنتَ لست الملام، ليس ذنبك حبيبي.

- أنا .. أنا هديل.

- ليس ذنبك غيث، تماسك أرجوك، أنا بحاجةٍ إليك.

ضممتها لصدري أطوقها بذراعاي أكاد ادخلها بين ضلوعي وأعلم أني أسبب لها الألم لكنها لم تعترض بل شعرت بها تتمنى لو تختبأ بين ضلوعي.

- أنا هنا حبيبتي، كل شيءٍ سيكون على ما يرام، ريما قويه، سوف تخرج من هناك بسلام.

(حسان).

- ما الذي تقوله!

سـ .. سيدي .. حقاً لا أعرف كيف حدث هذا .. نـ .. نحن أطلقنا النيران بعيداً - عنهم لا أعرف كيف حدث ذلك.

أغبياء، حمقى ومغفلين، كيف تقومون بفعل هذا الخطأ الجسيم! وكيف هي - الأن؟

- لاتزال في غرفة العمليات سيدي.

عمر! أين عمر؟ -

ل .. لا نعرف، كان معنا لكن .. لكن بعد ما حدث تفرقنا جميعاً لأن الشرطة - التي كانت تحرص المنزل بدأت في البحث عنّا، حين أصبحنا في أمان بعيداً عنهم لم يكن عمر متواجداً ولا يجيب على هاتفه.

كلكم حمقى، ما الذي عليّ فعله بكم أيها الملاعين الأن؟ إذهب ولا تعد إلا - ومعك أخبار الفتاة.

- أمرك سيدي.

(آدم).

الكل في وضعٍ صعب، الكل ينتظر بقلق وخوف، وكلما هدء الوضع قليلاً صدح صوت والدة هديل في الأرجاء كما الأن.

ابنتي تعيسة الحظ، لم ترى في حياتها السعادة أبداً، حين ابتسمت لها الحياة - وخطبت لمن تحب تركها بمنتصف الطريق قبل زفافهم بشهور، والأن .. الأن تصارع الموت في الداخل.

لم أقدر على البقاء في الداخل أكثر، أشرت لرهف كي يكون عندها علمٌ بخروجي واتجهت نحو الخارج، ألقيت اتصالاً على رجال الشرطة الذين يبحثون عن أي شيءٍ في المنزل لكن الجواب كان بالنفي، لم يجدوا شيء، قاطع شرودي وصول رسالةً إلى هاتفي.

للعثور على الشخص الذي تبحث عنه لاقيني في هذا العنوان الأن، لا " تحضر معك أحداً يا حضرة الضابط آدم إن كنت تريد العثور عليه الليله "

ودون أن أضيع الوقت اتجهت نحو العنوان دون أن أخبر أحداً بتحركي.

(هديل).

نترقب خروج الطبيب منذ ساعتين، لا أحد يطمئنا، لكن وأخيراً فتح باب العمليات وخرج الطبيب، توجهنا جميعاً نحوه لتبادر أمي في السؤال عن حال ريما.

- أرجوك أخبرني أن ابنتي بخير، قل لي أن ريما بخير.

- أنا أعتذر، لقد فعلنا ما بوسعنا لكن، تعازيا لكم.

الفصل السابع والعشرين

.(آدم)

" آدم أين أنتَ؟ آدم ريما .. ريما توفيت آدم، أنا أحتاجك أين ذهبت؟ "

رهف حبيبتي ساعه فقط وأصل إليكِ، لا تتركي هديل بمفردها وتماسكي "

" حبيبتي

لا حول ولا قوة إلا بالله، رحمك الله ريما، لكن وعدٌ مني أن أنتقم لكِ مِن مَن فعل ذلك.

توجهت نحو العنوان المطلوب وكان أحد المقاهي الشعبيه المزدحمه، حاولت الإتصال على الرقم الذي راسلني لكنه كان مغلقاً، كنت أفتش بعيني المكان إلى أن وقعت عيني على طاوله يجلس عليها شابٌ في بداية الثلاثين تقريباً يجلس وحده وينظر إليّ، فقط ينظر إليّ ولا يحيد أنظاره عني، تقدمت نحوه و وقفت أمامه.

تفضل يا حضرة الضابط، لقد تأخرت قليلاً لكن لا بأس، ماذا تشرب شاي أم - قهوه؟

.لم آتي لمصاحبتك أيها الفتى، أخبرني حالاً مكان حسان وإلا -

تمهل يا حضرة الضابط لا داعٍ للتهديد أو العنف، أنا هنا لصالحك، كيف حل - الفتاة؟

!أيها الحقير، أنتَ من فعلت ذلك؟ -

ليس أنا من أطلق عليها، لم أكن وحدي هناك، أحد الأغبياء صوب عليها - .خطئاً، نحن لم نكن نود أن نؤذي أحداً، لقد كان خطأ

خطأ! اضحكتني، تقول خطأ؟ لقد قتلتم الفتاة، فتاةٌ شابه أمامها العمر بأكمله - !قمتم بقتلها، هل تسمي هذا خطئاً غير مقصود

حضرة الضابط أنا أقدر الألم الذي تشعرون به، لكن أنا هنا للمساعده، - .أرجوك أعطني الفرصة كي أتحدث

ليس أمامك الليل بطوله إختصر كلامك وأخبرني أين أجد ذاك الكلب - الحقير؟

.أولاً أريد أن أعرف نفسي، أنا أدعى عمر -

!عمر! الشاب الذي أخرج حسان من السجن؟ -

أجل، لقد كلفني هذا الأمر كل أموالي، لو كنت أعرف ما الذي ستؤول عليه - الأمور لما أخرجته من هناك أبداً.

ولما فعلت ذلك؟ -

اسمي الكامل عمر حسان منصور يا حضرة الضابط. -

ماذا! أنتَ .. أنتَ ابنه! -

أجل، إبنه الغير شرعي، أنتَ بالتأكيد علمت عن عاصي والسنوات التي - قضاها حسان والسيد طارق معه وعن الأعمال التي كلفهم بها، في ذلك الحين كان الاثنان يتمتعان بالثراء الفاحش من أجورهم على أعمال التهريب التي قاموا بها، لا أعرف عن السيد طارق الكثير لكن حسان، أبي، كان ينفق أمواله على استمتاعه مع النساء، نساء لا تعد ولا تحصى، ومنها كانت من تدعى أمي، حسان كان يأخذ حذره مع النساء كي لا تحمل منه إحداهن، لكن لحكمةٍ ما أراد الله أن آتي للدنيا رغماً عن حذره، حين علمت أمي لم يكن لحسان وجود؛ فهو ما أن يأخذ مراده يترك نقوده ويرحل.

حاولت العثور عليه طويلاً لكن دون فائده، لكنها _ رغم عدم رغبتها بي _ احتفظت بحملها لتكون وسيلةً كي تصبح ثريةً حين تعثر على حسان وتخبره أن له ابن في رحمها، ومرت الشهور، وجئت إلى الدنيا، ولكن لا أثر لحسان،

وفقدت أمي الأمل من أن تعثر عليه فقررت أنها لا تريدني بعد الأن؛ فأنا لم آتي إليها بالفائدة التي أرادتها، كانت تسكن في أحد الفنادق الرديئه، ذات ليلةٍ اشتكى النزلاء من بكاء الطفل في الغرفة المجاورة لهم فتطوعت زوجة صاحب الفندق أن تتجه نحو الغرفة لترى ما الأمر، وحين ولجت إلى الداخل رأت طفلاً أصبح أزرق اللون من كثرة البكاء وإلى جانبه ورقةٌ مطويه، حين فتحتها وجدت بها رساله لم تتجاوز السطر " إن أردتم تربيته فلا أهل له تسأل عنه أو يمكنكم تركه لقضاء حتفه " هكذا بكل بساطه، لم أساوي لديها أي شيء وقررت التخلي عني دون أن تعلم ما المصير الذي سوف ألاقيه.

تكفّل بتربيتي صاحب الفندق وزوجته العاقر على أني هبةٌ من الله لهم، وإن لم يكن رزقهم كثير لكن قاموا بتربيتي حتى صرت شاباً يافعاً في الثاني والعشرين من العمر، لا أعرف كيف لكن استطاعوا أن يجعلوني متعلماً حتى تخرجت من الجامعه، كان كل شيءٍ طبيعي، حتى اليوم الذي وجدت فيه رسالةً مخبأه في أحد الأدراج، وحين سألتهم عنها أخبروني الحقيقه، كانوا مسبقاً حين غادرت تلك السيدة وتركتني احتفظوا بسجل إقامتها الذي يحوي اسمها ورقم الهاتف ورقم بطاقتها الشخصيه، أردت أن أعرف لما فعلت ذلك، بحثت مطولاً إلى أن وجدت عنواناً لها، كانت تخدم في أحد القصور، ذهبت لها وأريتها الرسالة وأخبرتها من أنا، سألتها لما تركتني ولم تبخل عليّ في

قول الحقيقة لي، أخبرتني عن حسان، لم تكن تعرف عنه سوى اسمه، حسان منصور، أخبرتني أنها حاولت العثور عليه كثيراً إلى أن فقدت الأمل لكن بعد سنوات وحين كانت تستمع إلى الأخبار سمعت خبر القبض على المجرم حسان منصور الذي حكم عليه بالسجن المؤبد إثر ارتكابه لعمليات تهريب اسلحه وممنوعات، وقتل، أخبرتني أن أنسى وجودها وأن لا أعود لها مرةً أخرى كي لا تفقد عملها، ولم تكن لدي نيةٌ للعودة لامرأةٍ مثلها، لكن كان عليّ العثور على ذلك الرجل، كان عليّ أن أخرجه من هناك لأجتمع بأبي الذي حرمت منه.

عيّنت محامي كان صديقاً لي في الجامعة ليتابع تلك القضيه وأخبرني أنه لا يوجد حل سوى أن أدفع له كفاله من المال، كان رقماً ضخماً لم أكن أحلم في أن أحصل عليه في حياتي كلها، لكن وبدون ذكر كيف، استطعت في بضعة أعوام أن أجمع المبلغ، وذهبت واخرجته من السجن، كان يعميه الإنتقام، جمع بعض الرجال وعيّنهم لديه مقابل مال كثير لم يستطيعوا رفضه، كان مسبقاً قبل حبسه قد خبأ المال في مكانٍ آمن تحسباً لأي أمر، المهم، حين أخبرته عن هويتي بالطبع أنكر الأمر، قال أنه لم يعرف إمرأةً بهذا الاسم أبداً وأخبرني إن كنت أريد أن أبقى لجواره وذراعه الأيمن وأن أنعم في هذا الثراء أن أنسى تلك الأكاذيب التي ألفقها، ولم يكن مني إلا أن رضخت للأمر، وطوال

الأعوام التي قضيتها معه علمت أنه فقد عقله من سعيه خلف الإنتقام، ما فعله بغيث مرتين لم يكن يرضيني، وحين حاولت أن أعيده لرشده وأخبره أن لا داعٍ للإنتقام مِن مَن لا ذنب لهم، قام بتعذيبي، وانتهى الأمر بعلامةٍ على صدري لن يمحيها الزمان، حاولت منع ما يفعله، أخذت ورقة السجل من دار الأيتام التي فيها بياناته والسيد طارق، لكن لم يجدي ذلك نفعاً، وآخر شيءٍ حين أمر بإطلاق النار عشوائياً في مكان الإحتفال وافقت قهراً فقط لأنه أمر أن لا يمس أحدكم مكروه، لكن حين رأيت الرصاصة تخترق جسد الآنسة ريما قررت أن سكوتي لم يعد ممكناً، وها أنا أمامك الأن، وها هو العنوان لكن شرطي أن تتركني أذهب بسلام، سأعود لذلك الفندق القديم، لعائلتي الحقيقيه، وأبتعد عن كل شيء، بإمكانك زيارتي هناك متى ما أردت يا حضرة الضابط آدم، والأن، وداعاً.

الفصل الثامن والعشرين

.(حسان)

كيف هي؟ هل هي بخير؟ -

.ماتت -

.لا، لم يكن يجب أن يحدث هذا، لا -

.سيدي -

.أخرج، أخرجوا جميعكم واتركوني وحدي، أخرجوا -

لا، لم يكن يجدر بها أن تموت، أنا .. أنا لم أرد حدوث هذا، أنا .. أنا اردتهم أن يعانوا كما فعلوا بي، لم أرد قتل أحد.

.لكنك قتلت

.لقد كان يستحق، هو يستحق، لكن .. هي لا، هو المذنب، هو من بدأ

كان يمكنك المُضي قدماً دون النظر ورائك، كان يمكنك أن تتغاضى عمّا حدث ما أن خرجت من السجن.

لا، كان يجب أن اذيقهم من نفس الكأس.

وما ذنبهم بما اقترفه أموات يغطيهم التراب بحقك؟

وما كان ذنبي أنا؟ بما أذنبت ليذيقوني الويل لأعوام وأعوام؟ أنا .. أنا لم أكن أريد أن يموت أحد، أنا لست وحشاً، أنا بشرٌ مثلهم، لما يراني الجميع وحشاً؟! أنا من كنت غراً بعرين الوحش ينهش من جسدي كلما أراد اللهو، وحين اشتد عودي الدامي اغرقوني بمستنقع قذارتهم ولوثوني بذنوبهم، أنا لست وحشاً، هم الوحوش وإن رحلوا، ولن أدع ضميراً ظلوا طوال حياتهم القذرة يسعون في ردمه واسكاته يوقفني، جعلوا مني مسخ، فليتحملوا إذاً عواقب ما اقترفت أيدي سابقيهم.

في المشفى (غيث).

أنا السبب، لكن .. لكنني لست المذنب، ما ذنبي أن أدفع ثمن ما فعله أبي يوماً؟ وما ذنبها أن تلقى مصيرها وليس لها دخل؟ أنا لست السبب، لما إذا أتلقى من أمها هذا الصراخ؟ أنا لا أستحق هذه الصفعه.

- أمي، أمي ماذا تفعلين هذا لا يصح!

- أنتَ السبب، ابنتي قتلت بسببك وبسبب عائلتك، ما ذنبها هي؟ ما ذنبها؟

- أمي غيث ليس له دخل، وما ذنبه هو أيضاً؟ لا تفعلي هذا أرجوكِ، اهدئي واجلسي.

إبتعدت أمها، وهربت أنا خارجاً، أنفاسي! لا أقدر على سحب أنفاسي! الجدران تخنقني، أركض نحو الخارج لا أرى شيئاً واضحاً ولا أميز الأصوات، لا أعرف كم كتفاً صدمت، أختنق، خرجت وجلست أرضاً، أشهق طالباً للهواء لكن لا فائده، بدأت أصاب بالدوار، لكن كل شيءٍ هدء، خفتت الأصوات إلا منها، وحضنها الدافئ الذي يحاوطني ويدها التي تمسك رأسي تضعها فوق صدرها، صوتها الهادئ الموجوع يتضح أكثر.

- اهدء، أنا هنا، خذ أنفاسك معي، بهدوء، شهيق، زفير، شهيق، زفير، اهدء.

- أنا .. أنا السبب .. أنا.

اهدء، ليس ذنبك، إن أخطأ والدك فلست الملام، لست مذنباً، هو عمرها - مهما اختلفت الأسباب، لست السبب.

أريد أن أبتعد من هنا، أود الهرب لكن -.

أنا لن أتركك، إن أردت الذهاب سآتي معك، دعنا نعد للمنزل، لكن لأطمئن - عليهم وأتصل بآدم كي يأتي ليوصلهم للمنزل، قف معي لنعد للداخل.

لكن -.

أمي لا تقصد، ألمها حديث إعذرها، هي لا تعرفك كما أعرفك، حين تهدأ - وينسيها الله ألمها ستعرف أن لا ذنب لك، هيا تعال.

لم أقرب مكان وجود العائله، ظللت واقفاً متواري خلف الحائط أستمع إلى نحيبها، جاء آدم وأخذهم وغادروا جميعاً، وكالعادة لم يبقا لجواري سواها، إقتربت مني تشبك أصابعها بيدي.

لنذهب -.

وذهبنا، غادرنا المشفى وعدنا للمنزل بسيارة أجره، لم تسمح لي أن أقود وأنا بحالي هذا، دخلنا المنزل وما أن أغلق الباب حتى خارت قواي و جلست أرضاً انتحب ظلماً وذنباً ألصق بي ذهبت ضحيته أخرى، عاودت احتضاني، عاودت تهدئتي.

لم أعهدك هكذا غيث! رؤيتك هكذا تقتلني يا حبيبي، لا تفعل هذا، ليس ذنبك - صدقني.

وضعت يدها على موضع قلبي، تتحدث بصوت مختنق من بكاءها الصامت، اشعر بدموعها تتساقط على وجهي.

أعرف هذا الفؤاد، هو لا يقدر على إيذاء أحد، يتألم لتألم غيره ليس أنانياً أو - حجر، أنا أعرفك حبيبي، ليس ذنبك، لا تضعف، إن ضعفت هزمت وهزمتني معك، من لي سواك يحميني ويكون عوني بالحياة؟

أمسكت وجهي بيديها تنظر لعيوني.

أنا بجانبك، أنا أعرفك، أنتَ لست مذنباً، لا تحمل نفسك فوق طاقتها كي لا - تهلك، هو الظالم الجاني، وسيأتيه عقابه بما اقترفت يداه، أنا معك، كل شيءٍ سيكون على ما يرام.

بعد مدةٍ من الزمن وبعد أن أسدل الليل ستاره وغلبها النعاس من التعب، لم يمس عيني النوم، أجلس على الكرسيّ المواجه للفراش لم أزح عيناي عنها، بداخلي صراعٌ صاخب بين عقلٍ لا يرحم يتهمني ويقول: أنتَ الجاني، وبين صوتٍ خافت يقول: لم أفعل، وصوتٌ آخر يعلوا: إن بقيت ستزهق أرواح أبرياء أخرى، وهكذا حسمت قراري، اتجهت نحو الخزانة حملت بحقيبة

ظهرٍ ما أحتاجه من ثيابي، إقتربت منها أشبع من وجهها المتعب، أحتفظ بربيع عطرها بداخلي، ألمس شعرها الليلي ونعومته، أقبلها من عينها المنتفخة من بكاءها سراً بعيداً عني كي لا تزيدني إحساساً بذنبٍ ليس ذنبي، همست بقرب أذنها: آسف، سامحيني يا حبيبتي، لو بقيت سيحرقني بكم وليس بي طاقةٌ لأحتمل أكثر، وغادرت، ألقي نظرةً أخيره على المنزل وأوليه ظهري وأسير.

(هديل).

ها هو يرحل، هل سأبقى مكاني هكذا؟ هل سأظل واقفةً أرى روحي وهي تغادرني؟ لا، ركضت نحو الأسفل كي أحلق به.

- غيث، غيث أرجوك توقف.

ركضت نحوه، ركضت كمن يهرب من الموت للحياة، وحين صدح رجائي تثبتت قدماه بالأرض، ركضت ولامس صدري ظهره المحني قهراً ويداي تكبلانه كي لا يذهب.

- أرجوك، أرجوك لا تذهب.

- هديل، اتركيني.

أدرته لي وقصراً ركزت نظراته عليّ بكلتا يداي أحاوط وجهه الموجوع.

- لا، ليس بعد أن أصبحت ملكك وملكتني بين ضلعيك، حبيبي لا تذهب، من لنا سواك إن رحلت؟

- آدم لن يترك مكروهاً يصيبكم أنتِ أو رهف.

- لا أتحدث عن رهف.

- ماذا؟ .. مـ!

سحبت يمناه واضعةً إياها على بطني تتحسس روحاً منّا تسكن أحشائي.

- أنا حامل، سيكون لنا طفلاً يكمل قصتنا التي لن تكتمل بدونك غيث، أرجوك لا تتركنا وترحل.

الفصل التاسع والعشرين

.(آدم)

بعد أن رحل عمر عدت للمشفى بعد إتصال هديل، أخذت الجميع نحو بيوتهم بمساعدة أبي؛ فهو تولى إيصال والدة هديل و والدها نحو منزلهم وأنا أوصلت رهف وأمي ليلى، وحين سألتني رهف عن أين كنت وعدتها أن أخبرها لاحقاً، حاولت الإتصال بغيث لكن هاتفه كان مغلقاً فاتجهت نحو مركز الشرطه، ما إن وصلت حتى عقدت اجتماعاً مع بعض رجالي أخبرهم أن يجهزوا أنفسهم لأننا غداً صباحاً سوف نقتحم العنوان الذي تركه عمر لي، وعدت نحو منزلي، بقيت أحاول الوصول إلى غيث إلى أن فتح هاتفه أخيراً، كان الوقت فجراً.

- لقد وجدته غيث.

- أنا قادمٌ إليك.

- لا إبقى لجوار هديل وأنا أقسم لك لن أعود إلا وهو معي.

آدم سوف آتي معك، هديل تود الذهاب لمنزل والدتها سوف أوصلها إلى -
.هناك الأن وآتي إليك، أين أنتَ الأن

.في منزلي -

.حسناً ساوصلها وآتي إليك -

.(غيث)

عثرتم عليه؟ -

.أجل حبيبتي، صدقيني سوف آخذ حق ريما منه -

.أنا أحتاجك غيث، عد لي سالماً، عد لنا -

.انحنيت أقبل جبهتها وأضع يدي على بطنها

أعدك أنه من بعد الأن لن أدع أي مكروهٍ يصيبكم، كل شيءٍ سيكون على ما -
.يرام حبيبتي

ما أن أوصلتها إلى منزل والدتها وتأكدت من صعودها حتى توجهت نحو آدم، أخبرني عن لقاءه بابن حسان، أراني العنوان واطلعني على خطة هجومه هو ورجاله على المكان.

- غيث، أنتَ لن تفعل أي شيء، سوف تبقى في السيارة إلى أن ألقي القبض عليه، حين أتأكد أن المكان آمن سوف أخبرك وتفعل به ما تريد ومن ثم نسلمه للعداله، أنا معي أوراق تدينه لكي يكمل باقي عمره في السجن، بمساعدة عمر حصلت على تلك الوثائق منه، أعمال تهريب مجدداً، وجرائم قتل قديمه لم يكن يعلم عنها أحد، لا فرار له من السجن هذه المره.

- آدم، أنا سأصبح أباً.

- ماذا! حقاً! يا رجل وأخيراً .. مـ!

- نهض يحتضنني بسعادةٍ كادت تهشم أضلعي.

- مباركٌ لك يا أخي، مباركٌ لك، لهذا الأمر غيث عدني أن تستمع إليّ، لن تخرج من السيارة إلا حين أخبرك، عدني أرجوك، أنتَ الأن ستصبح أباً وسوف يصبح لك طفلاً بحاجةٍ إليك لجواره، عدني.

- أعدك آدم.

انتظرنا حتى طلوع الشمس واتجهنا نحو العنوان المطلوب، أوقف آدم سيارته بعيداً نوعاً ما عن المكان وخرج وأقفل الأبواب ليتأكد من عدم تمكني من الخروج واتجه نحو المكان رفقة رجاله، حاصروه من كل اتجاه، كان مصنعاً قديم مهجور عفى عليه الزمان، كان آدم يوجه أوامره لرجاله، واقتحموه، سمعت دوي الرصاص، مرت دقيقه، إثنتان، لا أعرف، لكن سكتت الأصوات، أكاد أهشم السيارة كي أخرج منها لكن هدأت حين رأيت آدم يخرج من هناك ويتجه نحوي، فتح قفل السيارة وتوجهت نحوه و وقفت قبالته.

أين هو؟ -

في الداخل، لم يكن معه الكثير من الرجال، حاول إطلاق النار عليّ لكن - أصاب أحد رجالي الذي وقف أمامي، إصابةٌ سطحيه لحسن الحظ، ما أن قيدناه حتى هدء ولم يعد يقاوم، بإمكانك الدخول إليه لكن لا تفعل شيئاً متهوراً.

اتجهت نحو الداخل مع آدم، رأيت رجاله تقف في الداخل عند مدخل المصنع وخلف العجوز المقيد الجالس في منتصف إحدي الغرف على أحد الكراسي، كان ينظر إليّ مبتسماً، سحبت كرسياً وجلست قبالته.

للمرة التي لا أعرف عددها، أقول لك أنك تشبه أبيك جداً -.

أخبرني حسان، هل كان الأمر يستحق كل هذا؟ إثنان وعشرون عاماً في - السجن، والأن سوف تقضي ما تبقى من عمرك فيه مجدداً، هل كان الأمر يستحق؟

لأخبرك أمراً وفي النهاية قل لي أنتَ إن كان يستحق أم لا، أنتَ نقيّ، لم - تلوثك الحياة، لن تعرف يوماً كم أن الحياة قاسيه، هل تعرف كيف أصبحت في الميتم؟ طفلٌ غير شرعيّ لأبوين فقراء كانوا يريدون الإستمتاع للحظات فكانت نتيجة متعتهم حياتي، من حملتني حين جاءت بي للدنيا تركتني أمام باب الملجأ، كانت الدماء إثر الولادة لا تزال تغطيني، كبرت هناك، كنت منعزلاً عن الجميع، لم يكن لديّ أصدقاء، لم يكن أحداً يقترب لي، إلا واحداً، والدك، طارق.

أصبحنا خير أصدقاء، لأعوام طويله، بقينا في الميتم حتى سن الثامنة عشر تقريباً، وفي يومٍ ما جاء إلى الدار رجلٌ شديد البنيه، كان يود تبني شاباً يافعاً وقد وقعت عينيه على طارق، لكن رآني كالعلكة ملتصقاً به فأخذنا سوياً، اصطحبنا لنعيش معه في قصره الضخم، لعامين كنّا ننعم بحياةٍ لم نكن لنحلم بها يوماً، لكن من بعدها كل شيء تغير، كان يجلب لنا أحدهم ليدربنا لنبني أجساداً قويه ضحمه، وبالفعل حصل، وقد كنت أفوق طارق قوةً وضخامه، لكنه أيضاً كان لا يستهان به، كنت أرى كيف يعامله عاصي، وكأنه ابنه الذي

من صلبه، كان يعطيه مهاماً سهله خفيفه لا تشكل عليه خطراً، أما عني، فأول ضحيةٍ تلوثت يدي بدمائها كان عمري حينها أربعٌ وعشرون عاماً، أذكر أنني أخطأت التصويب وقتها بدلاً عن إختراق رصاصتي لقلبه ثقبت ذراعه، لذلك الخطأ حبست في القبو أسبوعاً لم أتناول فيه خمس وجباتٍ تقريباً، من غير ذكر التعذيب، أو التهذيب بمعنى آخر أخبرني به عاصي بعد أن أمر بإخراجي، ومن بعدها لم أعد أحصي كم جسداً فارقته الحياة بفضلي.

المهم، أظن ليلى أخبرتك عن فترة إعجابها بوالدك وأنا أخبرتك بالخلاف الذي جرى بيننا، لكنني أغفلت جملةً كانت كالطعنة لي من صديقي العزيز حين أخبرني وسط لكماته أني ابن زنا، ودخلت السجن، إثنان وعشرون عاماً تركت على جسدي علامات لن يمحيها الزمان، طعنات وكسر عظام، أظن أنني دخلت المشفى أكثر من ثماني مرات، مرتين منهم انعشوني لأن قلبي توقف عن النبض، لكن لا تظن أنني تركت حقي يضيع هباءاً، كل من أذاني أصبح في عداد الموتى، وجاء اليوم الذي جاءني فيه السجّان يخبرني أنه تم الإفراج عني، لا أخفيك اعتقدت أنني فقدت عقلي حينها، لكن حين رأيت باب السجن يغلق خلفي ويداي وأقدامي لا تقيدها الأكبال علمت أنني لازلت بكامل عقلي، رأيت شاباً ذكّرني بي في الصغر، أخبرني أنه ابني، بدايةً لم أصدقه لكن مع الوقت تأكدت من أنه أخبرني الحقيقه، لكن أنا لم أكن أريد أن يرث

ملكي أحد، وأعتقد أنه هو من أخبركم على مكاني، ابن الحرام، لكن صدقوني، لم أكن أود أن تموت أخت زوجتك يا ابن طارق، ولم أمس شعرةً من خطيبتك يا حضرة الضابط.

- هل انتهت الحكايه؟

- يبدوا ذلك.

- أظن أنك أضعت عمرك هباءاً يا حسان، خسرت حياتك بإرادتك، وستخسر الباقي بسبب حقدك وسعيك لإنتقامٍ لم يؤذي غيرك.

تم تسليم حسان للشرطه، عرض على المحكمة وحكم عليه مؤبداً للمرة الأخيره.

الفصل الثلاثين

.(غيث)

جميع العائلة والأقارب والأصدقاء موجودين، نلتحف جميعنا بالسواد والحزن وترهقنا الدموع، نستمع لترتيل الآيات ونرى التراب يواري جسد ريما، بعد مضي القليل من الوقت بدأ الجميع في الذهاب ولم يبقى سوى أسرة هديل وأسرتي وآدم، رأيت والدة هديل تقع أرضاً قرب قبر ريما تبكي فهرولت نحوها اساعدها على الوقوف، نظرت إليّ فأخفضت أنظاري أرضاً خجلاً منها، لكنني أحسست بذراعيها التي طوقتني في أحضانها تبلل صدري بدموعها.

- آسف أمي، آسف.

- إعذرني أنتَ يا بني على ما فعلت، هذا قضاء الله لم يكن عمرها ليستأخر ساعه، سامحني يا بني لم أكن في وعي.

- ريما كانت أختي مثل رهف، لو كنت أعلم أن هذا سوف يحصل صدقيني كنت ضحيت بنفسي عوضاً عن أن يصيبها أذى.

- أعرف يا بني، أعرف، كل ما أريده منك أن تعتني بهديل، لم يبقى لي سواها، لا تحزنها يوماً يا بني، ابنتي تحبك.

- أعدك أن أجعلها أسعد الناس أمي، أعدك.

(هديل).

لقد مر على وفاة أختي حبيبتي خمسة أشهر، أكذب إن قلت أن الألم اختفى أو تضائل مع الوقت، لكن من نعم الله أنه يهون علينا الفراق، أصبحت حياتنا هادئه، لم أعد أستيقظ فزعاً على إثر أحد كوابيسي، لم يعد غيث يشعر بذنب ما حدث، أو هذا ما يخبرني به دوماً كي يحاول جعلي أصدقه، لازال حين يذكر أحدهم اسم ريما أو يرى إحدى صورها يشرد وأراه يواري دموعه مبتعداً عن المكان قليلاً، رهف وآدم سعداء، يقومون ببعض التعديلات في شقة آدم التي سوف تصبح لهم بعد الزواج، أما عني وغيث فنحن أكثر من سعداء، لم أخبركم، أنا حامل في توأم، صبيٌ وفتاة.

.آه -

حبيبتي ما بكِ؟ -

.أعتقد أن هاذان الصغيران سوف يتعباننني جداً -

.يكفي أن يأتيا للدنيا بسلام وليفعلى ما يحلوا لهم -

.معك حق -

.أحبكِ -

وأنا أيضاً أحبك يا عزيزي، هل تذكر أول مرةٍ أخبرتني فيها أنك تحبني؟ -

!وهل يعقل أن أنسى -

.(قبل أربعة أعوام (هديل

وأخيراً انتهى اليوم! اعتقدت أنني سأموت في الداخل من شدة الملل، لم تأتي رهف اليوم فهي مريضه، أصيبت بنزلة برد، توجهت نحو بوابة الخروج كي أعود إلى المنزل، كنت أرى الطريق قبل أن أعبر الشارع كي أركب الحافلة لكنني جحظت بعيني، غيث! ما الذي يفعله هنا؟! لم أستطع

التحرك من مكاني لكن هو فعل، يعبر الطريق متوجهاً نحوي، يا إلهي! هل أعود للداخل؟ لكن فات الأوان.

- مرحباً آنسه هديل.

- مـ .. مرحباً سيد غيث، هل جئت من أجل رهف؟ رهف لم تأتي اليوم.

- أنا لم آتي من أجل رهف، أنا هنا من أجلكِ.

- أ .. أنا؟!

- أجل.

- هل رهف بخير؟!

- هي بخير دعينا من رهف لم آتي للتحدث عنها.

صمت لا أعرف ما عليّ قوله، سمعت يوماً مقولة تقول: إن الصمت في حضرة الجمال جمال، معهم حق، يا إلهي كيف عساه يكون وسيماً هكذا؟ عيناه تسحبني لأعماقها ولا أمانع.

- آنسه هديل، أود أخبارِكِ أمراً.

- أ .. أجل؟

- أنا أحبكِ.

!مـ .. ماذا؟ -

.أحبكِ -

!هل الدنيا تدور بي أم أعتقد ذلك؟ هل قال .. قال أحبكِ؟! قال أحبكِ

.(في الوقت الحالي (هديل

لا أصدق حقاً أنك فعلت ذلك! لم ترني سوى مراتٍ قليله حين تصطحب - رهف من وإلى الجامعة أو عندما آتي لزيارتكم ولم تكن تتحدث معي فيهم كثيراً فقط تسأل عن حالي والجامعة وتخبرني أنك تحبني! هل كنت بكامل قواك العقلية حينها؟

تلك كانت المره الأكثر تعقلاً لي في حياتي، لحظة اعترافي لكِ بالحب - أحسست وكأن الدنيا فتحت لي صفحةً جديده بيضاء لتزينيها أنتِ بجمالكِ، كنتِ الضياء الذي اقتحم عتمتي، أحمد الله على القدر الذي جمعني بكِ يا هديلي.

.(بعد مرور خمسة أعوام (هديل

اليوم الذكرى السنوية الأولى لوفاة أمي ليلى، اجتمعنا عند قبرها للدعاء لها، ذات يومٍ ونحن مجتمعين في منزلها شعرت بالإرهاق وأخبرتنا أنها سوف تذهب نحو غرفتها لتستريح، وقبل ذهبانا توجهت نحو غرفتها كي أودعها لكنها كانت قد فارقت الحياة، كانت الشهور الأولى صعبةٌ جداً على أبناءها، لكن بفضل وجودي قرب غيث و وجود آدم مع رهف مرت الأيام، قد تزوجت رهف وآدم منذ ثلاثة أعوام، وقد رزقهم الله بفتاةٍ فائقة الجمال كأمها تماماً، فاطمه.

الجو رائعٌ الليله، نجلس على الشاطئ كلنا، آدم وعائلته ونحن، آدم ورهف يمرحون مع الأطفال على الرمال قرب المياه ويبنون قلاعاً، وكأنهم هم الأطفال! لم أخبركم، سوف يصبح عمر أطفالنا أنا وغيث خمسة أعوامٍ الشهر المقبل، سامي وريما، وكم تشبه ريما الصغيرة خالتها.

- ما رأيكِ أن نذهب إليهم؟

- لا أمانع لكنني أود النزول للسباحة وأنتَ ستأتي معي.

- أمركِ مجاب زوجتي الجميله.

- أنظر إلى السماء كم هي رائعه، زرقة السماء تذكرني بك دوماً.

وأنتِ كتلك السحابه الوحيده التي احتلت السماء كما احتللتي فؤادي وسكنتي - عيوني منذ النظرة الأولى، أحبكِ يا هديلي.

- أحبك غيث.

لم تنتهي الحكايه، الحكايات لا تنتهي أبداً، دوماً هنالك بدايه بعد كل نهايه، تشرق الشمس وتكتب بداية حكايةٍ جديده، وأنتم افعلوا ذلك، انتظروا سطوع شمس يومٍ جديد لبدأ حكاياتكم.

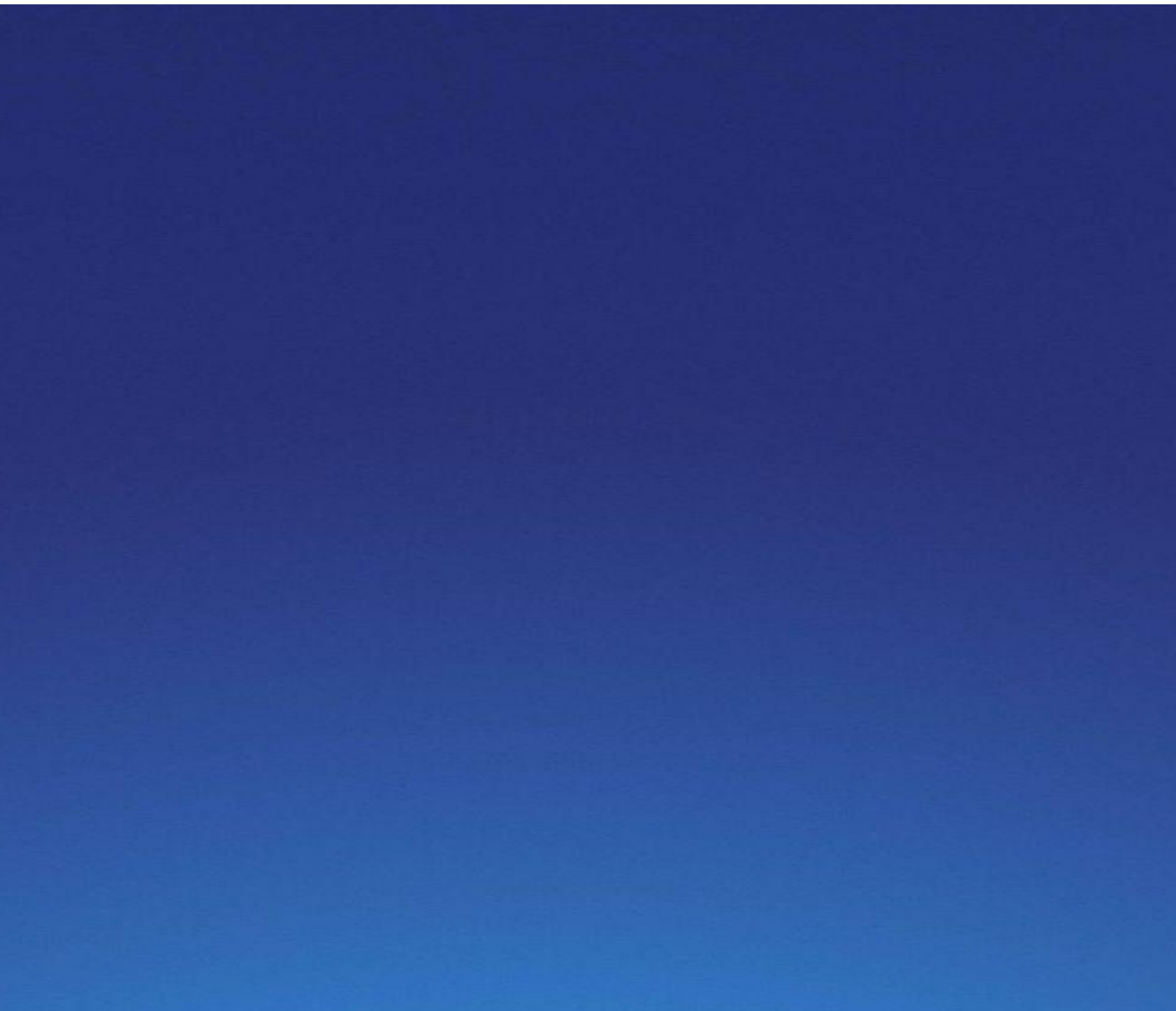

ghzb